أغرب من الخيال

راجي عنايت

رجل يعرف كل الأسرار

دار الشروق

رجل يعرف
كل
الأسرار

تصميم الغلاف : حلمي التوني

أغرب من الخيال

راجي عنايت

رجل يعرف كل الأسرار

دار الشروق

أنقذوني مِن هـٰذِهِ الصُّوَر وَالأصْوَات

قبل أن يسقط من السلم المعلق خارج الدور الرابع من المبنى ، كان بيتر هوركوس مجرد شاب هولندي عادي ، يبحث عن عمل يكسب منه ما يعتمد عليه في حياته . لكن ما أن وقع الحادث ، وأفاق بعد أربعة أيام من الغيبوبة الطويلة التي غرق فيها ، حتى اكتشف في نفسه تلك المقدرة العقلية الجديدة التي أفزعته .. لقد وجد أن عقله أصبح قادراً على التجول في المكان والزمان ، يصل إلى المعلومات التي لم يكن بإمكانه أن يعرفها من قبل . لقد تتابعت الصور والأصوات على عقله بمجرد أن يقترب من شيء أو من شخص ، فلا يجد سبيلاً إلى وقفها ..

هكذا بدأت قصة واحد من أشهر الأشخاص الذين عرفوا بمواهبهم وقدراتهم العقلية الخارقة .. وتوالت قصص كشفه لغوامض الكثير من القضايا والجرائم التي عجزت الشرطة في إنجلترا وفرنسا وأمريكا عن حل ألغازها ..

لقد تحمست الكاتبة الصحفية نورما لي برونج للكتابة عن بيتر هوركوس ، رغم أنها بدأت صلتها به وهي تنوي كشف خداعه وزيفه ، كما فعلت مع غيره من الأفاقين ، وصادفت في هذا نجاحاً كبيراً ، لكنها ما أن تثبتت من صدق موهبته ، حتى قررت أن تكتب دراسة

كاملة عن هذه القدرة الغريبة للعقل البشري ، ولكن .. لنبدأ القصة من أولها ..

* * *

في مدينة دوردريشت الصناعية الصغيرة بهولندا ، ولد يوم ٢١ مايو ١٩١١ بيتر كورنيليس درهورك .. ذلك الذي عرفه العالم باسم بيتر هوركوس .

كانت ولادته عادية ، فيما عدا ذلك الغشاء الرقيق الذي كان يحيط برأسه ، وهي حالة نادرة للغاية من حالات تكوين الغشاء الجنيني أو « الأمينوس » . في الولادة الطبيعية يتمزق الغشاء الرقيق المعروف باسم « كيس الماء » أثناء الولادة ، ولكن في بعض الأحيان يلتف جانب من ذلك الغشاء حول رأس المولود عند ولادته ويطلق عليه اسم « الكول » . ويكون الغشاء في سمك قشرة البصل الرقيقة ، ومع هذا يجب شقه وإزالته مباشرة بعد الولادة حتى يستطيع المولود أن يتنفس .

ومن الشائع عند كثير من الشعوب أن من يولد بهذا الغشاء حول رأسه يصبح محظوظاً كما أن بعض الشعوب تعتقد أن من يولد بهذ الغشاء حول رأسه ، لا يموت غريقاً .. وفي البلاد الاسكندنافية ، كان ذلك الغشاء بعد إزاحته يحفظ في الكحول ، ثم يعطى لبحارة الفايكنج لجلب الحظ الطيب . أما في هولندا فقد كان أهلها يعتقدون أن من يولد بهذا الغشاء حول رأسه ، والذي يطلقون عليه اسم الخوذة ، يكون باستطاعته عندما يشب أن يتنبأ بأحداث المستقبل ، ويكون متمتعاً بقوى خارقة لا يمكن تفسيرها .

ومع هذا فقد كاد ذلك الغشاء يودي بحياة بيتر هوركوس ، ويفقده بصره إلى الأبد !! لقد ولد بيتر كفيفاً بسبب ذلك الغشاء ، وظل فاقداً لبصره على مدى ستة أشهر بعد ولادته .

يقول والد بيتر « نعم .. نعم .. لقد ولد كفيفاً من أثر ذلك الغشاء اللاصق برأسه ، مما جعل الأطباء يفقدون الأمل فيه .. كان طفلاً صغير الحجم رقيقاً ، لم يتجاوز وزنه أربعة أرطال ونصف رطل . لقد تمكن دكتور بوس بعد ذلك من رفع الغشاء الذي كان فوق عينيه ، وإلا بقي كفيفاً باقي الحياة .. وأذكر حتى الآن تلك القطرات التي كنا نصبها في عينيه دائماً .. والبكاء .. البكاء المتصل طوال الليل .. أنا واثق أن القابلة عندما نزعت ذلك الغشاء الذي ولد به ، أضرت بعينيه . ! » .

التقرير الطبي المحفوظ في المستشفى الذي تولى علاج بيتر ، يقول إن القابلة التي ولدت الأم وجدت صعوبة في نزع ذلك الغشاء الذي يحيط برأسه . فتم استدعاء طبيب . وبعد عدة ساعات استطاع الطبيب أن يزيل أجزاء الغشاء فيما عدا ذلك الجزء الذي يغطي العينين . وقد اقتضى الأمر ستة أشهر من العلاج المتواصل ، قبل أن ينجح الطبيب في إزالة باقي الغشاء الملتصق بالعينين . نجحت العملية ، واستطاع بيتر أن يرى لأول مرة . ومع ذلك فقد بقي يعاني باقي حياته من ضعف شديد في بصره .

حياة البحر

ولد بيتر في عائلة بسيطة الموارد . كان والده نقاشاً ، وفي نفس الوقت كان في أوقات فراغه يعمل مغنياً في الأوبرا . لم يكن يأبه كثيراً للمال ،

كاملة عن هذه القدرة الغريبة للعقل البشري ، ولكن .. لنبدأ القصة من أولها ..

* * *

في مدينة دوردريشت الصناعية الصغيرة بهولندا ، ولد يوم ٢١ مايو ١٩١١ بيتر كورنيليس درهورك .. ذلك الذي عرفه العالم باسم بيتر هوركوس .

كانت ولادته عادية ، فيما عدا ذلك الغشاء الرقيق الذي كان يحيط برأسه ، وهي حالة نادرة للغاية من حالات تكوين الغشاء الجنيني أو « الأمينوس » . في الولادة الطبيعية يتمزق الغشاء الرقيق المعروف باسم « كيس الماء » أثناء الولادة ، ولكن في بعض الأحيان يلتف جانب من ذلك الغشاء حول رأس المولود عند ولادته ويطلق عليه اسم « الكول » . ويكون الغشاء في سمك قشرة البصل الرقيقة ، ومع هذا يجب شقه وإزالته مباشرة بعد الولادة حتى يستطيع المولود أن يتنفس .

ومن الشائع عند كثير من الشعوب أن من يولد بهذا الغشاء حول رأسه يصبح محظوظاً كما أن بعض الشعوب تعتقد أن من يولد بهذ الغشاء حول رأسه ، لا يموت غريقاً .. وفي البلاد الاسكندنافية ، كان ذلك الغشاء بعد إزاحته يحفظ في الكحول ، ثم يعطى لبحارة الفايكنج لجلب الحظ الطيب . أما في هولندا فقد كان أهلها يعتقدون أن من يولد بهذا الغشاء حول رأسه ، والذي يطلقون عليه اسم الخوذة ، يكون باستطاعته عندما يشب أن يتنبأ بأحداث المستقبل ، ويكون متمتعاً بقوى خارقة لا يمكن تفسيرها .

ومع هذا فقد كاد ذلك الغشاء يودي بحياة بيتر هوركوس ، ويفقده بصره إلى الأبد !! لقد ولد بيتر كفيفاً بسبب ذلك الغشاء ، وظل فاقداً لبصره على مدى ستة أشهر بعد ولادته .

يقول والد بيتر « نعم .. نعم .. لقد ولد كفيفاً من أثر ذلك الغشاء اللاصق برأسه ، مما جعل الأطباء يفقدون الأمل فيه .. كان طفلاً صغير الحجم رقيقاً ، لم يتجاوز وزنه أربعة أرطال ونصف رطل . لقد تمكن دكتور بوس بعد ذلك من رفع الغشاء الذي كان فوق عينيه ، وإلا بقي كفيفاً باقي الحياة .. وأذكر حتى الآن تلك القطرات التي كنا نصبها في عينيه دائماً .. والبكاء .. البكاء المتصل طوال الليل .. أنا واثق أن القابلة عندما نزعت ذلك الغشاء الذي ولد به ، أضرت بعينيه . ! » .

التقرير الطبي المحفوظ في المستشفى الذي تولى علاج بيتر ، يقول إن القابلة التي ولدت الأم وجدت صعوبة في نزع ذلك الغشاء الذي يحيط برأسه . فتم استدعاء طبيب . وبعد عدة ساعات استطاع الطبيب أن يزيل أجزاء الغشاء فيما عدا ذلك الجزء الذي يغطي العينين . وقد اقتضى الأمر ستة أشهر من العلاج المتواصل ، قبل أن ينجح الطبيب في إزالة باقي الغشاء الملتصق بالعينين . نجحت العملية ، واستطاع بيتر أن يرى لأول مرة . ومع ذلك فقد بقي يعاني باقي حياته من ضعف شديد في بصره .

حياة البحر

ولد بيتر في عائلة بسيطة الموارد . كان والده نقاشاً ، وفي نفس الوقت كان في أوقات فراغه يعمل مغنياً في الأوبرا . لم يكن يأبه كثيراً للمال ،

وعند ولادة بيتر ، كان مجموع ما يكسبه حوالى تسعة جيلدرات أسبوعياً « ما يوازي جنيهين » .

نشأ بيتر طفلاً عليلاً ، وطالباً فاشلاً ، وانتهت سنوات دراسته القصيرة إثر قذفه سترة أستاذه بالحبر ، وفصله من المدرسة . ترك بيتر بيته ، ومضى ليعمل كمساعد طاه على إحدى البواخر التجارية ، فكان أصغر العاملين سناً على ظهر الباخرة ، يبلغ الرابعة عشرة من عمره ، وإن كان بقامته الطويلة يبدو كما لو كان في الثامنة عشرة . يصل طوله إلى ستة أقدام ، ويتميز بكتفين عريضتين ، وشعر أسود مجعد .

لقد وفرت له حياة البحر إحساساً بالسلام لم يمارسه من قبل . لهذا ارتبط بالبحر لعدة سنوات تالية . وفي إحدى إجازاته التي كان يقضيها بين أهله ، التقى بيتر بالفتاة الهولندية الجميلة بي فان دربرج ووقع في غرامها ، فتم عقد قرانهما عام ١٩٣٧ . وأصبح لديهما بيتهما الخاص بالقرب من بيت والديه . واستطاعت الزوجة بي بعد ذلك أن تبعده عن حياة البحر . أنجبت له ابناً في أول الأمر ، ثم ابنة جاءت صورة من أمها فسمياها بي أيضاً . وهكذا بدأ بيتر حياته بعيداً عن البحر عام ١٩٣٩ ، يعمل كمساعد نقاش مع والده .

بينما كانت حياة بيتر العائلية تميل إلى الهدوء والهناء ، كانت أحوال أوروبا من حوله على النقيض من ذلك ، تفور بالمحن القادمة . لقد أعلن هتلر وقتها أن ألمانيا ستسود العالم بأكمله . وفي ١١ سبتمبر ١٩٣٩ أعلنت انجلترا الحرب على ألمانيا . وقد كره الهولنديون تجبر جيرانهم الألمان فأنشأوا جيشاً سرياً لحربهم . وقد اشترك في ذلك الجيش حوالى ٧٠ في

المائة من الشعب الهولندي يرفعون علم المقاومة السرية .. وكان بيتر هوركوس واحداً من العاملين في ذلك الجيش .

لقد تأثرت الأحوال الاقتصادية لعائلة فان درهورك بسحب الحرب المتجمعة ، وبدأت مواردهم المالية في التناقص .

الحرب .. والحدث الخطير

في العاشر من يوليو ١٩٤١ ، قال متحدث رسمي باسم القيادة الألمانية ، إن قوات الرايخ الألماني تتقدم باطراد على الجبهة الروسية . وفي ذلك الوقت كانت الطائرات البريطانية تقصف نابولي وسيراكوس بصقلية وشير بورج ، بينما كانت الطائرات الألمانية تقصف إنجلترا . وقد أغرقت الطائرات الألمانية خمس قطع بحرية تجارية بريطانية عند مدخل قناة بريستول .

وأيضاً في العاشر من يوليو عام ١٩٤١ ، كان بيتر يساعد والده في طلاء بناء مكون من أربعة طوابق في أحد شوارع الهاج . كان الوالد يعمل في طلاء القاعات من الداخل ، بينما ترك لبيتر أن يطلي جانباً من خارج البناء ، السقف والطابق العلوي . في هذا يقول بيتر « لقد ترك لي والدي طلاء الجانب الأعلى من البناء .. لأنه من الذي سيتمكن من الحكم على درجة جودة طلاء الدور الرابع من أسفل الطريق ؟ .. المهم أن يكون الطلاء بالنسبة للأدوار السفلية جيداً وكاملاً .. وكان هذا يقوم به والدي .. بحكم تمكنه من صنعته » .

رغبة في توفير الوقت ، واختصار نقل المهمات والسلم الثقيل ، وضع بيتر السلم بين نافذتين ، بحيث يكون بإمكانه طلاء النافذتين مرة واحدة ،

وكان عليه أن يمد ذراعه إلى أقصاها مرة إلى اليمين حتى يتمكن من طلاء إحدى النافذتين ، ومرة أخرى إلى اليسار ليصل إلى النافذة الأخرى . وفي ذلك الوقت كان دلو الطلاء معلقاً بخطاف مثبت في السلم .

يذكر بيتر أنه مد يده ليغمس الفرشاة في الطلاء .. ثم حدث كل شيء فجأة .. السقطة الطويلة التي رأى خلالها ملخصاً دقيقاً كاملاً لحياته .. يقول « لا يمكن أن أنسى ذلك أبداً .. جلستي على السلم .. ثم سقوطي المفاجئ .. وفي اللحظات التي سقطت فيها ، كنت أرى شريط حياتي بأكمله يمر أمامي .. كنت لا أريد أن أموت .. كنت متشبثاً بالحياة .. كنت أبذل كل جهدي أثناء سقوطي حتى لا أموت من أثر السقطة .. ثم أخيراً ، ارتطمت بالأرض .. وأطبق علي الظلام الشامل .. سواد شديد ! ! .. » .

يقول الذين حضروا واقعة سقوط بيتر ، إن ما أنقذ حياته هو أنه سقط على كتفه ، مما امتص وقع الارتطام . لقد انكسرت عظام كتفه ، كما ارتطم رأسه بالأرض .

وقد جاء في أوراق مستشفى زويد فال الذي نقل إليه بيتر بعد الحادث « دخل المستشفى في العاشر من يوليو ١٩٤١ ، وخرج منه في الخامس من أغسطس ١٩٤١ . يبلغ من العمر ثلاثين عاماً . أصيب بارتجاج في المخ مع كل الأعراض الأولية المصاحبة » . وتقول هذه السجلات إنه عند وصوله إلى المستشفى كان غائباً عن الوعي ، يتقيأ وقد فقد ذاكرته ، وهي من الأعراض التقليدية لإصابة المخ . لقد بقي بيتر غائباً عن الوعي لمدة أربعة أيام ، وأجريت له عملية في رأسه لإنقاذ حياته . بقيت له منها

ندبة في رأسه طولها ثلاث بوصات .

طالت غيبة بيتر عن وعيه ، وقد شعر أطباء مستشفى زويد فال أن حالته ميؤوس منها . وعندما عاد إليه وعيه ، كان فاقداً لذاكرته . لم يكن يذكر الأسماء والوجوه والتواريخ . وقد بقي بعد ذلك لفترة لا يتعرف على أفراد عائلته إلا من أصواتهم . وعندما كان البعض يسأل بيتر عن هذه الفترة بعد ذلك ، لم يكن يذكر شيئاً عن الأحداث الضبابية التي مرت به حينذاك .. يقول إنه أحس بالأيام الأربعة تمر عليه وكأنها أربع دقائق ! .

الموهبة .. الثقيلة !

يقول بيتر « لكن خلال هذه الأيام كان كل شيء جميلاً للغاية ، الورود والجبال والموسيقى كنت أشعر أن هناك من يغني من بعيد .. لكن عندما عدت إلى وعيي ، اختفت كل تلك الألوان الجميلة الزاهية ، وبدا كل شيء متسخاً مترباً كابياً .. لم أكن أتحمل الضوء ، فقد كان ينفذ إلى عيني كالسكين .. » .

إنه يتذكر كيف عاد من غيبوبته ، فسمع الحديث المتبادل حوله ، لكن الأصوات كانت تأتي من بعيد ، من آلاف الأميال البعيدة . كانت الأصوات أشبه بالصدى . يتذكر أنه رأى الأطباء والممرضات في ملابسهم البيضاء يتحركون بالقرب منه ، لكنهم كانوا أشبه بالخيالات المشوهة البعيدة . لقد شعر بأحدهم يمسك بيده ، لكنه لم يكن يقوى على الكلام .. « وشعرت بسكاكين تطعن رأسي .. ثم فقدت وعيي ثانية ! » .

عندما عاد إليه وعيه بعد ذلك ، رأى ألواحاً خشبية حول سريره ،

ثم اكتشف أنه مربوط إلى السرير وإلى هذه الألواح بما لا يسمح له بالحركة .. يقول « أفقت من غيبوبتي لأكتشف أنني مقيد إلى السرير ، كما لو كنت رجلاً متوحشاً .. لقد ربطوا ذراعي وساقي بإحكام وبحيث لم أستطع أن أتحرك .. تصاعد غضبي .. لماذا يفعلون هذا معي ؟ .. أنا لست مجرماً ! .. أين أنا ؟ .. لماذا قيدوني هكذا . عندما سقطت من أعلى البيت لم أكن أرغب في الموت .. لكني الآن كلما عدت إلى وعيي .. تمنيت أن أعود ثانية إلى غيبوبتي .. »

إنه يتذكر المرة الأولى التي تعرف فيها على صوت زوجته .

إنه لا يستطيع أن يشرح ما جرى في ذلك الموقف ، لكنها كانت المرة الأولى التي استطاع فيها أن يصدر صوتاً بعد الحادث ..

وكانت هذه هي المرة الأولى التي ظهرت فيها عليه بوادر موهبته أو قدرته الخارقة التي عاش بها بعد ذلك باقي حياته ..

شواهد القدرة الغريبة .. !

لم يكن يستطيع أن يرى زوجته ، لكنه كان يسمع صوتها . صاح فيها فجأة غاضباً « بي .. ماذا تفعلين هنا ؟ .. أين إبننا بيني ؟ .. » أجابت الزوجة المذعورة من صياحه ، أنها تركت ابنهما بيني في رعاية جارة لها حتى تتمكن من المجيء إلى المستشفى لزيارته . لكن بيتر انقض عليها مهاجماً بغضب « مكانك في البيت إلى جوار بيني .. أسرعي الآن ! .. يا إلهي ! .. إن الحجرة التي يجلس فيها تشتعل بالنار . »

لقد أخطأ بيتر هذه المرة في التوقيت . ..

عندما عادت الزوجة إلى بيتها لم تر حريقاً .. لكن بعد خمسة أيام من هذا ، شب الحريق في البيت وكان الابن بيني داخله ، واستطاع رجال الإطفاء كسر باب الحجرة وإنقاذ بيني ! .

كانت هذه الواقعة هي أول مؤشرات « الهبة » الجديدة التي تلقاها بيتر بعد الحادث .. بعدها ، توالت الوقائع المثيرة ..

إنه يتذكر اليوم الذي استيقظ فيه ليجد الألواح الخشبية من حوله قد أزيلت .. لقد اختفت أيضاً القيود . كانت الممرضة في زيها الأبيض تقف إلى جوار سريره ، وتعدل من وضع وسائده . سألها « أين أنا ؟ .. » عندما قالت له إنه في مستشفى زويد فال وإن اسمها زيلدا ، مد يده فجأة وأمسك بيدها وهو يقول « كوني حذرة عندما تستقلين القطار .. وإلا فستفقدين حقيبة يدك ! » .

جمدت الممرضة في مكانها ، وهي تنظر إليه باندهاش شديد .. ودون أن تتكلم ، بدأت تنسحب من الحجرة ، ثم توقفت فجأة واستدارت وهي تقول له « ولكن .. كيف عرفت ذلك ؟ » .

هنا أيضاً .. أخطأ بيتر في توقيت النبوءة .. لقد كانت الممرضة زيلدا قد فقدت حقيبتها فعلاً ذلك الصباح وهي في القطار الذي نقلها إلى المستشفى ! .

وعندما انصرفت الممرضة ، نظر حوله في الحجرة ، فوجد رجلاً يرقد على السرير المجاور له . قال له دون مقدمات « أنت رجل شرير ! .. لقد توفي والدك منذ وقت قريب وترك لك ساعته الذهبية التي كان يعتز بها .. لكنك قمت ببيع هذه الساعة » لم يكن يدري لماذا قال ذلك ،

فقد خرجت الكلمات من فمه رغم أنفه . أما الرجل فقد أومأ وسط ذهوله ، وهو يقول بصحة كل ما ذكره بيتر .

شعر بيتر أن شيئاً ما غريباً يجري في عقله .. لم يكن يعرف كنه ما حدث وفي هذا يقول « .. شعرت أن عقلي لا يخصني ! » استدعى بيتر الطبيب وطلب منه أن يعطيه شيئاً لعلاج رأسه . أخبره الطبيب ساعتها ما كان يخفيه عليه من قبل ، وهو أنه أصيب في رأسه نتيجة للسقوط من فوق السلم . قال له بيتر إنه منذ أفاق من غيبوبته وهو يستمع إلى أصوات في عقله ، وطلب عقاراً يبعد هذه الأصوات التي تتضارب داخل رأسه . فقال له الطبيب إنه سيجري عليه بعض الفحوص والاختبارات ، وإنه بعد انتهاء الفحوص يستطيع أن يخبره بحقيقة ما يجري داخل رأسه .

أوقفوه .. أوقفوه !

في أحد الأيام ، مر شخص غريب إلى جوار سرير بيتر ، ربما كان في زيارة لأحد المرضى بالحجرة . توقف الرجل عند سرير بيتر يتمنى له الشفاء العاجل وهو يصافحه .. بمجرد أن أمسك بيتر بيد الرجل ، عرف على الفور أن الرجل يعمل سراً لحساب بريطانيا ضد القوات الألمانية الغازية ، وأنه سيموت على يد الألمان في ظرف عدة أيام . صدمته هذه المعرفة المباشرة بالصورة التي « رآها » في عقله . فتشبث بيد الرجل بكل قوته ، بينما جاهد الرجل متألماً للتخلص من كفي بيتر . وبمجرد أن نجح في ذلك أسرع يغادر الحجرة ، بينما كان بيتر يصيح بشكل هستيري « أوقفوه .. أوقفوه ! .. » أسرع الطبيب والممرضة إلى الحجرة وقد وصلت

إليهما أصوات صياح بيتر .

أسرعا بإعطاء بيتر حقنة مهدئة ، فغرق في نوم عميق . بعدها بيومين ، دخل الطبيب إلى حجرة بيتر وقد ظهر عليه الاندهاش الشديد ، وكان يحمل نسخة من إحدى الجرائد ، عرضها على بيتر في صمت . لقد حملت الجريدة خبر قتل الرجل على يد الألمان . أخيراً ، سأل الطبيب بصوت خافت : كيف عرفت ؟ هل تعمل مع الألمان ؟ .. قال بيتر حائراً « لا أدري ! .. لا أعرف مصدر ما أنطق به .. أنا أردد ما أسمعه .. إنها أشياء ترد على عقلي .. يا دكتور .. ماذا حدث لي .. أي خلل طرأ على عقلي ؟ » .. حاول الطبيب أن يهدئ من حالته ، ووعده بالمجيء في اليوم التالي بصحبة أخصائي لفحصه .

أخذ بيتر يتساءل .. ما هذا الشيء الغريب الذي يحدث لي ؟ أياً كانت طبيعة هذا الذي يحدث فأنا لا أحبه .. كيف أتخلص منه .. لقد أصبحت أخاف النوم .. أصبحت أخاف الظلام .. لقد أصبحت حياتي كالكابوس المتصل .. أنا لا أحب رؤية كل هذه الأشياء التي أراها .. هذه الصور .. وهذه الأصوات ..

ويحكي بيتر عن الطريقة التي كانت ترد بها هذه الصور والأصوات إلى عقله « في كثير من الأحيان لم يكن من الضروري أن أرى الشخص .. كان يكفي أن أمد يدي لأمسك شيئاً قريباً مني ، مثل الآنية الفخارية المجاورة لسريري ، حتى أسمع أصواتاً .. أو أمد يدي لألمس الحائط القريب مني ، حتى أسمع أصواتاً وأرى صوراً . كنت في بعض الأحيان أضع الوسادة فوق رأسي لأغطي أذني وعيني ، لكن تلك الصور والأصوات

كانت تواصل ورودها إلى عقلي . حتى في ساعات نومي ، كان عقلي يرتحل ليرتاد أماكن لم أزرها من قبل .. » .

هل يودع مع المجانين ؟ ..

منذ اليوم الذي قال فيه بيتر للممرضة زيلدا إنها ستفقد حقيبتها ، بدأ الاهتمام به يتجاوز حدود الاهتمام بين الطبيب والمريض . ومع تصاعد الشك في أقواله ، حظي ذات يوم بزيارة عدد من الأطباء من بينهم دكتور بيترز مدير مستشفى الأمراض العقلية وعدد من مساعديه .

يحكي بيتر عن ذلك اللقاء فيقول « كنت أعلم بما يدور في رؤوسهم . كانوا يظنونني مجنوناً . لقد كان يدور في خواطرهم أن يوقعوا بعض الأوراق ثم يحولوني إلى مستشفى الأمراض العقلية وسط باقي المجانين .. سألوني لماذا أنام والأضواء مشعلة . وأرادوا أن يعرفوا نوع الصور التي أراها والأصوات التي أسمعها .. حاولت أن أجيبهم ، فبدأوا يضحكون .. قلت : اسمع يا دكتور ، أتحاول أن تسخر مني ؟ » .

حاول إثنان من الأطباء أن يعابثا بيتر فسألاه ، ماذا « يرى » فيهما ؟ .. قال بيتر غاضباً « لا شيء ! .. » . فهو لم يكن يعجبه أسلوبهما الساخر . تقدم كبير الأطباء دكتور بيترز وقال له باستخفاف « قل لي .. ماذا ترى في ؟ .. » . نظر إليه بيتر بتمعن ، ثم قال « أعطني شيئاً يتصل بك .. » تساءل الطبيب بسخرية « لماذا تريد شيئاً مني ؟ » . قال بيتر بتصميم « لقد طلبت مني أن أخبرك بما أرى فيك .. أعطني شيئاً ! .. » .

أعطاه الطبيب قلم الرصاص الذي كان يمسك به في يده . مرر بيتر

أصابعه على القلم وقال « أرى عندك بيجاما .. » ، فقاطعه أحد الأطباء المساعدين « كل واحد منا عنده بيجاما ! .. » ، فواصل بيتر « سيدي الدكتور أرى عندك بيجاما مخططة في خطوط تشبه جلد النمر .. »

قال مدير المستشفى معترفاً « هذا صحيح .. لكن الكثير من الناس لديهم بيجامات مخططة كذلك .. » فقال بيتر بتأن « لكن البيجاما الخاصة بك عليها الحرفان « ج » و« د » .. والآن هل يمكن أن أتحدث إليك على انفراد ؟ .. أم تريد أن أذكر لك باقي معلوماتي أمام الآخرين .. ؟ »

هنا .. ظهر على الطبيب بعض التردد ، وأصبح أقل استخفافاً بكلام بيتر . وعندما انصرف الجميع ، قال بيتر محتداً « إذا كنت يا سيدي تتصور أنني مجنون .. فأنا لست كذلك ، وسأثبت لك صدق كلامي .. لو كنت مجنوناً لتكلمت بباقي الحقائق أمام الأطباء الآخرين . هذه البيجاما التي أتحدث عنها ، مهداة إليك من الممرضة عشيقتك ، ولقد أنجبت منها طفلاً رغم أنك متزوج من أخرى . وعندما سألتك زوجتك من أين أتيت بهذه البيجاما ، قلت لها إنك اشتريتها . لكن الحقيقة هي أن عشيقتك هي التي طرزت عليها الحرفين ! . » .

لم ينكر الطبيب ، وإن لم يعترف ... وعندما خرج مدير المستشفى من عند هوركوس إلى باقي الأطباء ، وسألوه عما قال المريض ، أجاب الطبيب « لم يقل شيئاً مهماً .. » . وبدلاً من أن يوقع أوراق تحويل بيتر إلى مستشفى الأمراض العقلية ، أوصى بامتداد راحته لأكثر من شهرين ، مما كان يعني تسلم بيتر المزيد من المال من شركة التأمين .

بعد أسبوعين من ذلك اللقاء ، عاد الطبيب إلى لقاء بيتر ، وقال له

« أتذكر ما قلته لي عن قصة البيجاما ؟ هل تعتقد أنني سأواجه مشاكل مع زوجتي بسبب ذلك الموضوع ؟ هل ستتمكن من اكتشاف أمري ؟ » أجاب بيتر « يوماً ما .. ولكن ليس سريعاً » . فسأله « هل ستكتشف أمر الطفل ؟ .. » ، أجاب بيتر « ليس قريباً .. » . ولكن الطبيب عاد ليسأل بإلحاح « هل تعرف زوجتي انني أذهب يوماً كل أسبوع إلى الكوخ الريفي الخاص بنا ؟ .. هل تظن أنها تعرف ؟ .. وإذا كانت الإجابة نفياً .. هل ستعرف مستقبلاً ؟ .. » .

قال بيتر وقد نفد صبره « لا .. إنها لن تعرف ذلك .. هذا هو ما أشعر به يا سيدي الدكتور .. لكن لا أعرف كيف .. » ثم نظر إلى الطبيب مستنجداً وهو يقول برجاء « قل لي يا سيدي .. متى ينتهي كل هذا الذي أصاب عقلي ؟ .. » . أطرق الطبيب لبعض الوقت ثم قال له « لا أعرف .. ربما ينتهي .. وربما لا ينتهي .. عليك أن تتعلم كيف تعيش به .. أنت إنسان محظوظ ، أن تعيش بعد هذه السقطة .. إصابتك كانت خطيرة جداً وقاسية ، كما أنك فقدت الكثير من الدم » . وتوقف الطبيب يلتقط أنفاسه ، ثم يقول « إلا أننا لا نستطيع تفسير هذه الأشياء التي تراها وتسمعها .. معارفنا عن العقل البشري لم تبلغ بعد القدر الذي يسمح لنا بفهم هذا .. » .

ولكن كيف مضت الحياة بعد ذلك ببيتر هوركوس .. وكيف أصبح نجماً لامعاً تسعى إلى معونته سلطات الأمن والشرطة في دول أوروبا وفي الولايات المتحدة ؟

لَعنَـةٌ .. أَم مَصْدَر شهْـرة وَرِزق ؟

تصور أنك تعيش حياة يومية عادية ، ثم تستيقظ ذات يوم لتجد تغييراً مخيفاً طرأ على عقلك .. كلما مددت يدك إلى شيء أو لامست شخصاً ، تتدفق على عقلك عشرات الصور والأصوات التي تتصل بكيان ذلك الشيء أو ذلك الشخص .. خاصة إذا لم يكن بإمكانك أن توقف ذلك الفيض من الصور والأصوات . تصور أنك لا تكاد تلتقي بشخص ما ، حتى تجد الكلمات تندفع من شفتيك رغم أنفك ، لتعرض أدق أسرار ذلك الشخص والتي لا يعرفها أحد غيره .. لو ان الإنسان ولد بهذه المقدرة ، أو أنها نمت داخله بشكل تدريجي لكان من الممكن احتمالها والتعود عليها . أما أن تحدث هكذا فجأة .. فهذه هي المحنة التي واجهها بيتر هوركوس ! .

أخيراً ، سمحوا لبيتر أن يغادر المستشفى . خرج منها ليجد الأمور في بيته قد أخذت تسير من سيئ إلى أسواء . كل شيء من حوله قد تغير ، أو لعل كل شيء داخل بيتر قد تغير ، لم يعد يطيق ضوضاء الأطفال ، أو توترات المشاكل العائلية ، أو فضول الأصدقاء . أصبح لا يرغب في رؤية أحد . كان لا يزال يخشى الانفراد بما يرد على عقله في الظلام ، فينام ونور الحجرة مضاء . أمضى الليالي الطويلة يذرع حجرة نومه ،

أو يبقى حتى الفجر جالساً فوق سريره ، ثم يهب فجأة ناهضاً يرتدي ملابسه . ويمضي خارج البيت متجولاً على قدميه لساعات طويلة يقطع شوارع المدينة المهجورة .

ذات ليلة أخذ يسير بلا هدف في شوارع المدينة . وعندما أصابه الإجهاد ، وجد نفسه بالقرب من المدافن . فقرر أن يبحث عن مكان هادئ يستريح فيه . فالموتى أخيراً موتى ، لا يتكلمون أو يتسببون في أي إزعاج . جلس على مقعد حجري بالقرب من شاهد قبر كتب عليه « وليم هندركس » . إنه ما زال حتى اليوم يذكر ذلك الاسم .

بينما هو يتأمل حجر الشاهد على ضوء القمر الخافت ، شملته رعدة مفاجئة من الخوف الذي استولى عليه . ما الذي جاء به إلى هذه المدافن عند منتصف الليل ؟ .. ماذا لو أقبل أحد الأشخاص واكتشف وجوده في هذا الوضع ؟ .. ثم حدث ما هو أكثر إفزاعاً ! . سمع صرخة امرأة . تطلع حوله . لم ير أحداً أو شيئاً غريباً . نهض من مكانه وسعى بين القبور في خطوات حذرة مختلسة ، متتبعاً صوت ذلك البكاء المكتوم الذي يصدر عن امرأة حزينة .

امتدت خطواته هنا وهناك ، حتى رأى شاهد قبر من القبور ، وقد حفرت عليه صورة رجل . وبجوار الشاهد كانت هناك وردة حمراء وحيدة ، تبدو نضرة للغاية ، كما لو أنها قطفت لتوها .. انحنى بيتر لالتقاط الوردة ، فسمع صوت السيدة الحزينة ، خافتاً في بداية الأمر ، ثم قوياً واضحاً وهي تقول « عزيزي .. لماذا كان عليك أن تتركني هكذا ؟.. لقد أحببتك .. » .

أسقط بيتر الوردة ، وراح يعدو ويعدو ، وقد شعر بفيض من الأصوات يصدر من جميع القبور يلاحقه بإلحاح ، وقد كاد رأسه ينفجر من تزاحم الأصوات في رأسه . ظل يعدو حتى وصل إلى بيته ، فأغلق على نفسه باب حجرته ، وأخذ يضرب رأسه في الحائط ، لكن فيض الأصوات بقي متدفقاً داخل رأسه .

عندما أشرقت شمس اليوم التالي ، واستيقظت المدينة ، تسلل من بيته ، وسار مندفعاً حتى وصل إلى مكتب دكتور بيترز وهو يصيح .. « دكتور .. ما هذا الخلل الذي أصاب عقلي ؟! .. هل سأصاب بالجنون ؟ .. ألا يمكن وقف هذه الأصوات والصور التي تضغط على عقلي ؟ .. إنني محتاج إلى معونتك يا سيدي الطبيب .. أرجوك .. أنقذني ! » .

أعطاه الطبيب حقنة لتهدئة أعصابه ، وحاول بالكلمات أن يهدئ من ثورته قائلاً « لا تنزعج يا بيتر . فهذا الذي تشكو منه ، ربما يكون عندنا جميعاً ولكن بدرجة محدودة . وإن هذا الذي لدى الناس جميعاً بشكل محدود مأمون ، قد تطور في حالتك بشكل متزايد .. ومن الواضح أن هذا قد جاء نتيجة للحادث الذي وقع لك .. هنالك الكثير من الأمور التي لا نعرفها حتى الآن عن طاقات وقدرات العقل البشري . من المحتمل أن تكون إصابتك قد خربت بعض وظائف المخ ، وفي نفس الوقت نشطت وظائف أخرى ، على الأقل بشكل مؤقت . وقد تنتهي هذه الحالة عندما تستريح تماماً وتتخلص من آثار ما أصابك .. » .

سأل بيتر متلهفاً « هل تعتقد أن ما أصابني يمكن أن يتوقف ؟ » . أجاب الطبيب بتحفظ « لا . لم أقصد إلى هذا بالضبط .. لا أستطيع أن

أضمن لك انتهاء ما يجري ، لكن من ناحية أخرى لا أستطيع أن أجزم باستمراره .. اننا ببساطة لا نعرف ! » .

وخلال الاحتلال النازي لهولندا ، كان الألمان يشحنون كل الرجال القادرين إلى معسكرات العمل الإجباري لحساب الرايخ الثالث . وكان بيتر ضمن الذين تم القبض عليهم لترحيلهم ، لكنه هرب في الطريق ، وعاد إلى مواطنيه ليشاركهم في حركة المقاومة السرية الهولندية . وفي ذلك الوقت بالذات ، اتخذ بيتر كورنيليس درهورك لنفسه الإسم الحركي «بيتر هوركوس» علماً بأن اسم « هوركوس » يعتبر من الأسماء المجرية وليس الهولندية .

أثناء عمله في المقاومة السرية ، كان بيتر يتصدى لأي عمل يكلف به . كان يتحمس لأكثر العمليات خطورة .. التفجيرات وزرع القنابل الموقوتة . قام بتفجير الكثير من الكباري وخطوط السكك الحديدية التي يستخدمها العدو النازي ، والتي كانوا يعتمدون عليها في نقل الأسرى الهولنديين إلى ألمانيا ، وشحن إمدادات الطعام إلى ألمانيا . كان يقبل على عمله بكل حماس ، رغم ما كان يلقاه من مخاطر .. ولعله في أعماق نفسه كان يسعى إلى أن يموت أثناء ذلك متخلصاً مما يعانيه .

وكان بيتر يعتمد على موهبته أو قدرته الخارقة في قيامه بالعمليات الخطيرة ، رغم أنه يردد دائماً إنه لا يستطيع تسخير موهبته لخدمة مصالحه الشخصية ، وله في ذلك قول مأثور « أنا لا أستطيع أن أصل إلى مكان حذائي عندما أبحث عنه ! » ومع هذا ، فقد كان خلال عمله بالمقاومة السرية ، ينجح في اختيار أنسب الأماكن وأنسب الأوقات

للقيام بعملياته .

وعندما جرى اعتقاله ، لم يكن متهماً بالمشاركة في حركة المقاومة السرية ، بل كانت تهمته أنه قطع بعض الأشجار لكي تستخدمها أسرته في التدفئة خلال فصل الشتاء القارس البرد . بعد أن انتهى استجواب النازي بكل قسوته المعروفة ، أوفد إلى معسكر « فوت » ، واحد من أسوأ معسكرات العمل الألمانية المقامة في هولندا .

عندما انتهت الحرب ، دعي بيتر ضمن رجال المقاومة السرية ، للمثول بين يدي الملكة جوليانا بالقصر الملكي حيث جرى تكريمهم . وقد حصل بيتر على ميدالية ذهبية ، وظهرت صورته في صحف اليوم التالي كبطل من أبطال المقاومة .

بعدها .. توقف ليسأل نفسه .. ماذا سيفعل بحياته ؟! ..

انتهى به الأمر للعمل بأحد المقاهي ، بضع ساعات كل يوم ، يجلس هناك فيتقدم إليه رواد المقهى بأشياء ليقول ما يرى فيها .. أو يسألونه عن بعض الشؤون التي تشغل بالهم . وكان يتقاضى منهم من النقود ما يعيش به . وكان في ذلك الوقت قد افترق عن زوجته « بي » .

ذات يوم ، استيقظ في الثالثة فجراً على جرس باب بيته ، وصيحات امرأة ملهوفة تنادي « سيد هوركوس .. سيد هوركوس .. أرجوك ساعدني لقد اختفى زوجي » . وعندما جلس معها واستفسر منها عن تفاصيل قصتها عرف أنها لجأت إلى الشرطة التي لم تنجح في العثور عليه . وعرضت على هوركوس أي مبلغ من المال يطلبه ، إذا هو استطاع تحديد المكان الذي يختفي فيه زوجها .

قال لها بيتر إنه لا يستطيع أن يساعدها قبل الحصول على شيء من متعلقات الزوج .. معطفه ، ساعته ، أي شيء كان يستعمله . فانصرفت الزوجة مسرعة وعادت بعد قليل تحمل معطف زوجها على يدها . لمس بيتر المعطف وأخذ يتحسسه ، ثم قال « ماذا حدث لكرة القدم ، إنني أرى كرة قدم .. وزياً عسكرياً .. » . صاحت المرأة « تماماً .. تماماً .. » لقد كان زوجها لاعب كرة قدم معروفاً . وهو يعمل حالياً في الجيش .

كانت المرأة لا تتوقف عن الصراخ مطالبة باستعادة زوجها . وحاول بيتر أن يعيد الهدوء إلى نفسها .. أثناء ذلك كان يتحسس المعطف .. ، فتدفق الكلام من فمه رغماً عنه « لقد قالت لك الشرطة ألا تقلقي على زوجك ، وأنه ربما يكون مع بعض أصدقائه .. لكني يا سيدتي آسف إذ أقول لك إن زوجك قد سقط في فخ بالجليد .. أراد أن يسلك طريقاً مختصراً عبر الغابة بدلاً من الطريق المعتاد .. أراه يسير متجهاً ناحية الضاحية .. توقف .. نعم ، إنه يفكر أي الطرق يسلك .. لقد قرر أن يسلك الطريق المختصر عبر الغابة .. » .

راح بيتر يتدفق في حديثه قائلاً « بينما هو يسير ، يتعثر ثم يسقط في حفرة .. لا .. إنه فخ دبابات .. وهو مملوء بالماء . إنه يناضل لكنه أضعف من أن يقاوم .. لقد شرب الكثير من الخمر الرديئة .. إنه يتجمد حتى الموت في ذلك الماء .. آسف يا سيدتي .. لقد توفي زوجك .. أنا آسف .. ها هو ، سأرسم لك رسماً تخطيطياً يساعد في العثور على جثته . إذهبي واخبري الشرطة . أريهم الرسم .. » .

نظرت إليه المرأة المصدومة ، ثم واصلت البكاء الهستيري حتى انهكت ،

فانصرفت .

ضحك رجال الشرطة طويلاً عندما سمعوا ما نقلته عن بيتر هوركوس وعندما عرضت عليهم الرسم . لكنها صممت على أن يتحركوا معها إلى حيث أشار هوركوس . أخيراً ، استجابوا لطلبها ، لكنهم لم يعثروا على شيء . وقال لها الضابط مغتاظاً « كنت أعرف هذا طوال الوقت .. بيتر هوركوس هذا نصاب ! » .

في اليوم التالي ، عادت المرأة إلى بيتر ، وألحت عليه في الذهاب معها إلى مركز الشرطة وهذه المرة نتيجة لإلحاح بيتر تحرك معهما ضابط وثلاثة جنود ، واهتدوا بالخريطة التي كان بيتر قد رسمها . في الطريق إلى المكان ، عثروا على قبعة الزوج بين الأشجار .. ثم قلمه .. وبعد سبعة أيام من الحفر والتنقيب عثروا على الجثة .

لقد أثبت التشريح الطبي للزوج المتوفى ، أنه كان يعاني نوعاً من الشلل ، وأن هذا المرض دفعه إلى اليأس الشديد ، فقد أدرك أن المرض سيمنعه من العودة مرة ثانية إلى ملاعب كرة القدم ، ولذا فقد بدأ يفرط في شرب الخمر . لقد شرب يومها مع بعض الأصدقاء في أحد المشارب ، ثم عاد بمفرده في وقت متأخر من الليل . وبالفعل سلك طريق الغابة المختصر ، كما قال هوركوس من قبل ، وأثناء ذلك سقط في شرك الدبابات المنصوب والمغطى بالجليد .

لقد جرت الواقعة بالتحديد كما « رآها » هوركوس بحاسته السادسة الخارقة بمجرد أن تحسس معطف الرجل ! .

هكذا انتشر صيت بيتر هوركوس وشاع بين مواطنيه ، وتحدث عنه

الناس ووسائل الإعلام باعتباره « صاحب العين الرادارية » ، و« المخ المزود بالأشعة السينية » . وبعدها ، أصبح مطلوباً في أنحاء أوروبا للمساعدة في العثور على الأشخاص المفقودين ، وفي كشف الجرائم الغامضة ، ولإلقاء محاضرات ، أو تقديم عروض يكشف فيها عن مقدرته ، أو لإسداء النصائح الخاصة لبعض الأفراد ورجال الأعمال .

أغلب الرؤى صدقاً ، تلك التي كانت تهبط عليه فجأة ، دون تدبير سابق .

ذات مرة ، على سبيل المثال : قال فجأة لصديقين كان في زيارتهما « مزرعة قريبة من هذا المكان ستحترق هذه الليلة .. اسم المزارع صاحب المزرعة يانسن ، ومزرعته تقع على القناة الصغيرة ، سيحدث هذا في الساعة التاسعة » ..

كان الوقت يقترب من التاسعة . فركب الثلاثة سيارة وانطلقوا بها مسرعين في اتجاه القناة ، يستفسرون عن مكان مزرعة يانسن . لكنهم ما أن اقتربوا من المكان ، حتى رأوا ألسنة اللهب تتصاعد من المزرعة .

عندما انتهى رجال الإطفاء من إخماد الحريق ، طلب رجال الشرطة من بيتر أن يساعدهم في كشف لغز الحرائق الغامضة المتتابعة التي كانت تشب في أنحاء المنطقة . وأعطوا بيتر قفلاً من أقفال الحظيرة التي بدأ عندها الحريق . طلب بيتر من رجال الشرطة أن يمدوه بصور فوتوغرافية لكل من يسكن قريباً من هذه المنطقة .. أي صور .. صور تحقيق شخصية أو صور مدرسية .. أو أي صور جماعية عامة ..

في اليوم التالي جلس بيتر هوركوس أمام كوم الصور الفوتوغرافية ،

يتناولها مقلوبة ثم يمرر القفل المحروق عليها ، وقد غرق في حالة من التركيز الشديد ، بينما تصبب العرق من فوق وجهه . إلى أن قال أخيراً وهو يرفع إحدى الصور بين أصابعه « هذا هو الشخص المطلوب ! » .. لم يظهر الاقتناع على رجال الشرطة . وقال أحدهم لبيتر « هذا الصبي من أفضل وألمع الصبية في هذه الجيرة ، ووالده من أغنى رجال المنطقة وأكثرهم احتراماً » . لكن بيتر أصر على رأيه قائلاً « اقبضوا على هذا الصبي ، فلا تحدث أي حرائق بعد ذلك .. إني أعدكم بهذا .. » .

رضخ رجال الشرطة لنصيحته مكرهين ، وعندما استجوبوا الصبي ، أنكر في أول الأمر ثم اعترف بكل الحرائق التي كان قد أشعلها .

كيف استطاع بيتر هوركوس أن يكتشف أمر الحريق ؟ .. كيف استطاع أن يستدل على الصبي من بين أكوام الصور الفوتوغرافية ؟ ..

بينما كان بيتر يقضي ساعات عمله في المقهى الذي كان يقرأ فيه للرواد طوالعهم ، أو يدلي باستشاراته التي يطلبونها ، حضرت امرأة وطلبت منه أن يساعدها في العثور على مخطوط ضائع . فقال لها وهو يجلس في مكانه أن تمضي إلى بيتها وتبحث عن المخطوط خلف الأدراج بمكتب زوجها ، وليس داخل الأدراج كما فعلت هي وزوجها . وشرح لها بيتر أن المخطوط المطلوب حشر بين درجين وسقط خلف الأدراج .

عندما عادت الزوجة إلى بيتها ، وجدت المخطوط الضائع حيث أشار بيتر بالضبط .

هذه واحدة من آلاف الوقائع الصغيرة التي لها دلالتها ، والتي أكسبت بيتر هوركوس صيته الذائع .

في هذه الواقعة بالذات ، عندما انتحت المرأة بحقيبتها جانباً لتخرج منها بعض النقود تعطيها لبيتر كأجر عن الاستشارة ، قال لها بيتر وهو يجلس في مكانه « أرجوك يا سيدتي .. أنت في حاجة إلى نقودك .. لكن إذا أمكن ، أفضل قطعة الشيكولاتة التي بداخل حقيبتك إلى جوار النقود » .. كادت عينا السيدة تخرجان من محجريهما دهشة . فحقيبتها كانت بعيدة عن نظر بيتر .. لقد أحست أن بيتر يرى خلال الأشياء . أعطته قطعة الشيكولاته وانصرفت شاكرة . ويقول بيتر عن ذلك « كنت حينذاك أحتاج إلى قطعة الشيكولاتة أكثر من النقود .. فنتيجة لظروف الحرب وما بعدها كان من الصعب العثور على قطعة حلوى ، وإذا وجدت فقد كانت أسعارها مرتفعة جداً . وكنت راغباً في أن أقدم قطعة الحلوى هذه لأولادي .. » .

سافر بيتر من هولندا إلى بلجيكا ثم إلى باريس . ثم أوفد إلى اسبانيا على نفقة رجل أعمال بلجيكي ، لكشف غوامض وصية فقدت بعض مستنداتها . وبينما هو في مدريد يشاهد عرضاً لمصارعة الثيران التي لم يكن قد شاهدها من قبل ، مرت بعقله رؤيا خاصة قوية .. أبقار وحيوانات أخرى وبشر كثير يغرقون . لم يفهم في ذلك الوقت سر هذه الرؤيا الملحة ، لكن بعد ذلك بيومين ، تساقطت الأمطار بغزارة غير عادية في هولندا ، وتدافعت السيول ، فحطمت الجسور ، وغرق آلاف الناس والماشية .

بينما هو في مدريد ، تلقى بيتر مكالمة من السفارة الهولندية ، يطلبون منه تقديم عرض خيري لصالح ضحايا السيل في بلاده . وافق بيتر ،

وجرى تنظيم الحفل الخيري بشكل طيب ، وبلغت قيمة التذكرة الواحدة ٢٥ دولاراً . كان جمهور الحفل من أهم الشخصيات السياسية والاجتماعية في أسبانيا ، بالإضافة إلى أكبر مصارعي الثيران الاسبان . وقدم بيتر ليلتها عرضاً ناجحاً أثار اهتمام كل الموجودين ، لكنه لم يكن يعلم أن من بين جمهور ذلك الحفل ، السنيورا فرانكو ، زوجة الجنرال فرانكو .

في اليوم التالي ، تلقى بيتر مكالمة من سكرتارية الجنرال فرانكو تفيد أن الجنرال فرانكو يطلب منه تقديم عرض لقدراته في القصر . تردد بيتر قليلاً ثم أجاب بأنه سيتصل ثانية بعد نصف ساعة ويخطرهم بقراره بعد أن يفكر في الأمر . أراد بيتر قبل أن يعطي موافقته أن يعرف موقف سفارة هولندا ، ومدى تحمسها لأن يقوم بزيارة لقصر الجنرال الفاشستي . هذا بالإضافة إلى أن دعوة فرانكو انصبتْ عليه ولم تتضمن زوجته التي كان قد اقترن بها بعد انفصاله عن زوجته السابقة .

لم تبد السفارة الهولندية أي تحفظ ، فطلب سكرتارية الجنرال فرانكو ، وسأل إذا ما كانت الدعوة تتضمن زوجته ، فأجابت السكرتارية بأدب ولباقة دبلوماسية أن دعوته تعني دعوة الزوجة آلياً ..

عند وصول بيتر هوركوس وزوجته إلى قصر الجنرال فرانكو ، قام بتفتيشهما بحثاً عن أسلحة جنديان يرتدي كل منهما قبعة عالية وحرملة حمراء . ثم جرى اقتيادهما إلى حجرة واسعة فاخرة مزخرفة ، حيث كان في انتظارهما أكثر من سبعين شخصاً . كان من بينهم وزير الدفاع وعدد من الأطباء ، أحدهم الطبيب الخاص بفرانكو دكتور بلانكو سوليرو . ويتصدر الجميع الجنرال فرانكو وزوجته .

لقد أدهشهم بيتر بالقراءات التي قام بها حول الأشياء التي قدموها له . أحد الأطباء أعطاه رقعة من المطاط يبدو أنها من الإطار الداخلي لسيارة . قال بيتر بعد أن تحسس قطعة المطاط في يده لبعض الوقت « لقد انفجر إطار سيارتك وكان انفجار إطار السيارة سبباً في إنقاذ حياتك .. لقد كان ذلك أيام الثورة ، وقد هربت بسيارتك إلى فلانسيا ، لكن إطار السيارة انفجر في الطريق ، فلم تتمكن من الوصول إلى فلانسيا وكان ذلك من حسن طالعك .. لو لم يحدث ذلك ووصلت إلى فلانسيا كما كنت تنوي ، لانتظرت الموت هناك على يد الثوار الذين كانوا قد استولوا عليها .. لقد بقيت بعد ذلك في بيت ريفي .. أليس كذلك ؟ .. » .

ظهرت الصدمة على الجميع ، فقد كان كل ما قاله بيتر حول هذه الواقعة وغيرها من الوقائع صحيحاً مائة في المائة .. غير أن فرانكو بوجهه الحديدي لم تظهر عليه أي تعبيرات غير عادية طوال ساعات العرض .

بعد أن انتهى العرض ، انفصل الرجال عن النساء كعادة الاسبان في لقاءاتهم . وجاء أحد الحراس وأسر إلى بيتر ان الجنرال فرانكو يريد أن يراه على انفراد . يحكي بيتر عن ذلك اللقاء فيقول « قادني الحرس إلى حجرة مكتب فخمة ، ووجدت الجنرال فرانكو في انتظاري .. تقدم عدة خطوات وصافحني .. ثم قال : أشكرك شكراً جزيلاً . وأعطاني مفتاحاً وسألني ماذا أرى . أمسكت بالمفتاح في يدي وقلت له : أنت تعتقد أن شيئاً سرق منك . والأمر ليس كذلك لقد أخذ هذا الشيء وزير دفاعك بالصدفة وعلى سبيل الخطأ .. سيعود إليك هذا الشيء الضائع خلال ٢٤ ساعة .. » .

كان ذلك مفتاح دولاب المستندات بمكتب فرانكو . وقد اكتشف في ذلك اليوم اختفاء بعض المستندات الهامة منه .. وبالفعل كان وزير الدفاع قد أخذ من الدولاب ضمن ما أخذ الاوراق الناقصة بطريق الخطأ . وأعادها فعلاً في اليوم التالي .

في يوم الكريسماس عام ١٩٥٠ ، تناقلت وكالات الأنباء خبراً يقول إن الحجر الكريم المعروف باسم « سكون » قد اختفى .. وكان ذلك الحجر الكريم قد حصلت عليه انجلترا من اسكتلندا منذ ٦٦٤ سنة . وقد سرق ذلك الحجر الكريم من مكانه أسفل كرسي التتويج في كنيسة ويستمنستر ، قبل تتويج اليزابيث .

كان بيتر وقتها في مدينة دورويشت الهولندية ، يمضي عطلة مع والديه ، ومع زوجته السابقة وأبنائه منها . وكان حريصاً على متابعة أخبار تلك السرقة وتفاصيل الجهود التي تبذل للكشف عنها يوماً بيوم وقد قيل وقتها إن اسكتلنديارد تجرف نهر التيمز بحثاً عن الحجر الكريم المفقود . وجاء في خبر آخر أن رجال الشرطة الإنجليز يمشطون شوارع لندن وحواريها في بحثهم عن الحجر المسروق وقد توالت التبليغات من أشخاص يظنون أن لديهم معلومات مفيدة عن السرقة .

وقد دأب أصدقاء بيتر ، ومئات المعارف الذين وصل إلى علمهمَ خبر قدراته العقلية الفائقة ، دأبوا على حثه على السفر إلى إنجلترا والمشاركة في البحث عن الجوهرة المفقودة . كانت استجابته الأولى « لم يسألني أحد من رجال اسكتلنديارد أن أمد يد المعونة ، كذلك لم يصلني ما يفيد ذلك من أفراد الشعب البريطاني .. وأنا لا أتدخل في قضية لم يسألني

أصحابها التدخل فيها .. » .

لكن الخطابات أخذت تتدفق عليه من المواطنين الإنجليز ، بالرغم من أنه لم يكن قد زار انجلترا قبل ذلك .

كانت جوهرة « سكون » تزين تاج ملوك اسكتلندا ، وقد استولى عليها الملك ادوارد الأول من اسكتلندا ونقلها إلى كنيسة ويستمنستر ، حيث وضعت أسفل كرسي التتويج . منذ ذلك التاريخ ، جرى تتويج كل ملوك وملكات بريطانيا في وجودها .

ومع متابعة بيتر لأخبار البحث عن الحجر الكريم ، بدأ اهتمامه بالموضوع يتزايد يوماً بعد يوم .. وقويت لديه الرغبة في المبادرة بالسفر إلى لندن .. في ذلك الوقت ، نقل إليه أحد الأصدقاء خبر جمع بعض الإنجليز للمساهمات التي تكفي لتمويل حضور بيتر إلى لندن للمساهمة في كشف ألغاز هذه القضية الغامضة التي فشلت الشرطة في الوصول إلى أسرارها . فقرر أن يبادر بالسفر على نفقته ودون انتظار .

بَينَ شُرطَة اسكتلَنْديارْد .. وَقَفَص " فرادايِ "

قرر بيتر هوركوس أن يسافر إلى إنجلترا لكشف الغموض الذي يكتنف اختفاء الحجر الكريم المعروف باسم « سكون » .. وكان في ذلك الوقت لا يتكلم اللغة الإنجليزية ، لذا طلب من أحد أصدقائه ممن يتكلمون الهولندية والإنجليزية أن يرافقه في رحلته ، ليتولى الترجمة له .

في ١٦ يناير ١٩٥١ ، سافر بيتر من هولندا متوجهاً إلى إنجلترا عن طريق الجو . لقد استولى عليه الخوف ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يركب فيها طائرة . وما أن هبط في مطار لندن ، حتى أحاط به رجال اسكتلنديارد ، واصطحبوه في سيارة الشرطة إلى الفندق الذي سيقيم فيه بميدان دولفين .

حدث ذلك بسرعة خاطفة ، كما تعودنا أن نرى في الأفلام البوليسية ، حتى أن صديقه ومرافقه الذي جاء ليتولى الترجمة له ، بقي في المطار وحيداً ، يبحث عن وسيلة يصل بها إلى الفندق الذي ينزلان به .

في الفندق جرى اقتياد بيتر إلى حجرته ، وبدأ رجال الشرطة في توجيه الأسئلة المتلاحقة ، ولما لم يكن يفهم كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية ، فقد بقي في مكانه صامتاً ينظر إليهم في حيرة وضيق . وإذا كان لم يفهم شيئاً من حديثهم ، فقد شعر بإحساسه الخاص أنهم كانوا يشكون في

أمره ، وفي قدرته على المساعدة في حل غموض هذه القضية .

أخيراً . وصل الصديق المترجم ، واستعان به بيتر في إفهام رجال الشرطة طبيعة مهمته . ثم طلب منهم أن يصطحبوه إلى كنيسة ويستمنستر .

عندما وصل بيتر إلى الكنيسة ، راح يتردد بين أنحائها متردداً ، يحاول أن ينشئ اتصالاً بأي شيء يقوده إلى أول خيط في بحثه . توجه إلى كرسي التتويج الذي سرق الحجر الكريم من أسفله ، ركع على ركبتيه ، أخذ يتحسس الكرسي .. فبدأت الصور تلتمع في عقله بإيقاع متسارع .

كانت الصورة مختلطة أول الأمر ، ثم بدأت تتضح شيئاً فشيئاً ، رأى الكثير من وقائع التاريخ التي تتصل بذلك الكرسي . بذل مجهوداً شاقاً في إزاحة الوقائع التاريخية جانباً ، والتركيز على واقعة السرقة بالذات .

بعد ثلاثين دقيقة من التركيز المكثف ، الذي بدا خلاله بيتر في حالة أقرب إلى الغيبوبة ، وقد ترددت أنفاسه قوية ، بدأت شفتاه في الحركة بالكلمات « أرى خمسة أشخاص .. ثلاثة يدخلون ، وإثنين ينتظران في لوري .. » بعد ذلك أخذ بيتر يذكر سلسلة متعاقبة من الحروف الإنجليزية ، ورجال الشرطة يسجلونها في مذكراتهم ، وعندما انتهى من الإملاء ، قرأت هذه الحروف المتعاقبة أسماء عدة طرق في لندن .. شارع التيمز السفلي .. شارع فاشيون .. شارع ايرل .. شارع بيننجتون .. ثم قال بيتر :

« أرى كنيسة قديمة بالقرب من نهر .. وكوبري .. وأيضاً مدافن .. إن الصور تختلط في رأسي ولكني أستطيع أن أميز من بينها ما يشبه أنقاض كنيسة متهدمة . »

ثم سأل الشرطة أن يقدموا له ورقة وقلماً ، ورسم تخطيطاً تقريبياً لمواقع واتجاهات الشوارع كما رآها في عقله . وحدد موقع الكنيسة والنهر . عندما طابق رجال اسكتلنديارد رسمه هذا على خريطة منطقة شارع التيمز السفلي ، وجدوا تطابقاً ملفتاً بينهما ، بالرغم من أن بيتر لم يزر لندن من قبل ، كما لم تتح له فرصة رؤية خريطة لمدينة لندن . ورغم عدم معرفة بيتر باللغة الإنجليزية ، فقد سرد الحروف الإنجليزية لتعطي في تتابعها نطقاً سليماً لأسماء الشوارع التي أشار إليها .

بائع العتلة الحديدية

في صباح اليوم التالي ١٧ يناير ، سلمت شرطة اسكتلنديارد إلى بيتر هوركوس العتلة الحديدية التي استخدمها اللصوص في اقتحام كنيسة ويستمنستر ، وشريط ساعة جلدي وجد بالقرب من كرسي التتويج ، أمضى بيتر ساعتين كاملتين مركزاً على هذه الأشياء ، يتناولها بين يديه ، ويتحسسها ، محاولاً استحضار الرؤى أو الصور التي تساعده على كشف الغموض الذي يكتنف هذه السرقة .

من واقع تحسسه لهذه الأشياء ، تأكد من المعلومات التي وصل إليها عن طريق كرسي التتويج ، كما رأى الآن الطرق التي سلكها اللصوص . وعلى خريطة لندن استطاع أن يحدد خط سيرهم وهم في الطريق إلى الكنيسة ، كما قال إن اللصوص بعد أن قاموا بالسرقة ، قادوا سيارتهم وعبروا جسر ويستمنستر قاصدين سوثووك ، عبر شارع التيمز ، حتى روزرهيث .

سأل بيتر رجال الشرطة أن يأخذوه إلى روندبوند في حدائق كنجستون . وعندما وصل إلى هناك ، مضى على قدميه إلى بقعة خاصة بالقرب من البركة ، وقال إن خطة اقتحام الكنيسة وضعها اللصوص في هذا المكان .

في ١٨ يناير ، اصطحبته الشرطة إلى شارع التيمز السفلي ، حيث أنقاض كنيسة سانت دانستون . وقالوا له إنهم عندما سمعوا حديثه عن كنيسة متهدمة ، انصرفت أذهانهم إلى هذا الموقع . فقال لهم بيتر إن شعوره ما زال قوياً بأن الحجر الكريم يختفي بين أنقاض كنيسة متهدمة ، لكن ليس هذه الكنيسة .

ثم طلب منهم أن يأخذوه إلى شارع فاشيون . عندما وصلوا ، طلب منهم وقف السيارة ، وبدأ يسير على قدميه .. مضى على امتداد الشارع ورجال الشرطة من خلفه ، وعندما وصل إلى حارة ضيقة ، تقدم بيتر في الحارة عدة خطوات ثم توقف . كان وقوفه أمام واجهة أحد المحلات التي تبيع الأدوات والأجهزة المعدنية . التفت إلى الشرطة ، وقال لهم إن اللصوص ابتاعوا العتلة الحديدية التي استخدموها في سرقتهم من هذا المحل بالذات .

دخل الجميع إلى المتجر ، وسأل رجال الشرطة صاحب المتجر إذا ما كان يبيع العتلات الحديدية ، فرد صاحب المتجر بالإيجاب .

وعندما راجع رجال الشرطة الأرقام المدموغة على العتلات التي في المتجر ، وقارنوها بالرقم المدموغ على العتلة الحديدية التي معهم ، وجدوا أنها من نفس السلسلة .

متاعب مع جمارك دوفر ..

عندما وصلوا إلى الفندق بعد ذلك ، صرح لهم بيتر بأنه يشعر الآن شعوراً قوياً بأن الحجر الكريم موجود في جلاسجو باسكتلندا . وأنه يود المضي إلى هناك للبحث عنه .. وأضاف أنه أيضاً يشعر شعوراً قوياً بأن السرقة تمت لأسباب غير النفع المادي .. وأن اختفاء الحجر الكريم جرى على سبيل المزاح أو المعابثة بواسطة بعض الطلبة ، وأكد بيتر لرجال الشرطة أن الجوهرة المسروقة ستعود إلى كنيسة ويستمنستر خلال أربعة أسابيع .

أحس بيتر أن طلبه التوجه إلى اسكتلندا أثار الكثير من الجدل والنقاش بين رجال اسكتلنديارد . فقرر الرجوع إلى هولندا ، على أن يعود إلى إنجلترا مرة ثانية بسيارته ، عندما يحسم رجال الشرطة أمرهم .

عندما عاد إلى إنجلترا بسيارته ، أوقفه رجال الجمارك في مدينة دوفر لمدة ساعة ونصف ، وراحوا يستجوبونه بتدقيق شديد ، ويفتشون سيارته وحقائبه ، ثم سمحوا له بالمرور . ولم يستطع بيتر أن يفسر سر هذه المعاملة الخاصة من رجال الجمارك ، وعندما وصل إلى لندن ، واصل سعيه للحصول على الموافقة بتوجهه إلى اسكتلندا للبحث عن حجر التتويج المفقود .

كانت الصحافة الأوروبية قد أولت بيتر هوركوس ورحلته للبحث عن حجر التتويج الإنجليزي اهتماماً كبيراً . ومن خلال اللقاءات الصحفية التي جرت معه ، أعطى بيتر وصفاً تفصيلياً للصوص ، وقال إنهم موجودون في ذلك الوقت بإنجلترا ، لكنهم سيغادرونها إلى اسكتلندا . وقد تنبأ بأن الحجر الكريم سيعود إلى مكانه خلال ثلاثة أسابيع من ذلك التاريخ .

وفي جريدة إيفننج برس جاء على لسان بيتر : « سأبذل كل جهدي للعثور على الحجر الكريم ، فنحن خلال الحرب كنا في هولندا نعاني من الجوع ، وكنا نعتمد كثيراً على ما تسقطه علينا الطائرات الإنجليزية من طعام ، لهذا فأنا حريص الآن على رد الجميل لبريطانيا » .

شخص غير مرغوب فيه ..

كانت زيارته الثانية لانجلترا بلا نتائج مثمرة ، لذا فقد عاد إلى هولندا ، في هذه الأثنـاء عقدت لجنة المجلس القومي الاسكتلندي اجتماعاً في اسكتلندا ، حضره عدد من الشخصيات الهامة ، مثل دكتورة ماري رامزي من جامعة أدنبرة ، والسيد أوليفر براون أحد كبار الزعماء الوطنيين الاسكتلنديين . وقد صرح أوليفر براون ان حجر التتويج موجود حالياً في اسكتلندا ، وانه « سيبقى في مكانه هناك ، حتى تتمكن اسكتلندا من تولي زمام أمورها .. » .

وأضافت دكتورة رامزي « لقد كان المجلس الوطني يأمل في تحقيق مثل هذا الإنجاز منذ زمن طويل . وقد احتلت عملية استعادة الحجر الكريم جانباً كبيراً وهاماً من اجتماعات الحزب القومي . وقد آن للخطط التي أطلنا بحثها أن تؤتي ثمارها ، ويعود الحجر الكريم إلى اسكتلندا » . وقد جرت احتفالات كبيرة بهذه المناسبة في اسكتلندا . وعقب أحد رجال اسكتلنديارد على هذا بقوله في تصريح صحفي « لقد تدربنا على تعقب المجرمين وليس الوطنيين ! »

وفي عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ ، ظهر عدد جريدة الدايلي تلجراف ، وبه تحقيق عن الموضوع ، جاء فيه أن لجنة المجلس القومي الاسكتلندي كتبت للسفير الهولندي في لندن ، تبلغه بدعوة بيتر هوركوس لزيارة اسكتلندا حتى يمكن اطلاعه على « وجهة النظر الاسكتلندية في القضية .. » وإن كانوا قد أشاروا إلى أنهم لن يطلعوه أبداً على المكان الذي يختفي فيه الحجر الكريم .

تلقى بيتر الدعوة الاسكتلندية وهو في هولندا ، فعاد مرة أخرى إلى انجلترا ، وللمرة الثانية تم حجزه في جمرك دوفر . لكن هذه المرة كانت أكثر مضايقة من سابقها .. استغرق تفتيش سيارته ما يزيد على ساعتين . أفرغت إطارات السيارة من الهواء للتفتيش داخلها . جرى البحث داخل موتور السيارة وفي مخزن الوقود . رفعت المقاعد والأرائك من أماكنها وفتشت من الداخل .. أخيراً ، سمح له بدخول إنجلترا .

هنا فقط ، تأكد بيتر أنه غير مرغوب في جهوده لحل هذه القضية . هذا بالرغم من أن بعض الصحف البريطانية نسبت إليه ـ وليس لاسكتلنديارد ـ كل الفضل في الوصول إلى الخيوط التي قادت إلى كشف غوامض سرقة كنيسة ويستمنستر .

لقد صدق بالرغم من ذلك

في ٢٤ يناير صدر التصريح الثاني عن اسكتلنديارد « أننا لا نتصل بالسيد هوركوس ، ونحن لم نسأله أن يأتي إلى لندن ، ولم نسع إلى تلقي مساعدته . وهو مجرد واحد من أصحاب القدرات العقلية الخاصة الذين

تبرعوا بتقديم بعض المعلومات إلينا .. تلك المعلومات التي خضعت من جانبنا للبحث والتمحيص .. » .

ورغم أن بيتر هوركوس قد تلقى دعوة علنية من الاسكتلنديين لزيارة اسكتلندا ، فقد منعته الشرطة من السفر إلى هناك . فقرر في نهاية الأمر أن ينفض يديه من هذه القضية ويعود إلى بلده ، تاركاً للإنجليز أمر البحث عن جوهرتهم المفقودة .

ومع هذا ، فقد تلقى هوركوس ما يرجع إليه الكثير من الفضل في هذه القضية من الرأي العام وبعض الجهات المعنية ، مما اضطر مجلس العموم في حكومة صاحبة الجلالة إلى إنكار « تلك الدعايات التي تقول إن بيتر هوركوس كان مفيداً في البحوث التي جرت حول هذه السرقة » .

وكما توقع بيتر هوركوس بالضبط ، وجد الحجر الكريم في كنيسة متهدمة هي كنيسة أبروث بمدينة أنجاس الاسكتلندية . وكانت عودة الحجر الكريم إلى مكانه أسفل كرسي التتويج ، بالضبط بعد أربعة أسابيع من اختفائه .

وثبت أن سرقة الحجر الكريم جرت على أيدي بعض الطلبة ، وقد قامت سلطات اسكتلنديارد باستجوابهم وقد اعترفوا أنهم أخذوا الجوهرة على سبيل المزاح والمعابثة وليس بهدف فائدة مادية .. بالضبط كما قال بيتر من قبل .. وكما جاء في الصحف التي نشرت تصريحاته .

مستشار طبي !

أمضى بيتر معظم السنوات الخمس التالية في باريس ، يعمل في

خدمة الشرطة الفرنسية . وكان قد اكتسب احترام الأوساط الأوروبية واعترافها بمنزلته ، وخاصة في دقته المدهشة عند معالجة الجرائم الغامضة . وتدفقت عليه طلبات تقديم العروض العامة التي يكشف فيها عن قدراته ، وإلقاء محاضرات عن خبراته .. وفي نفس الوقت بدأ تصاعد ضيقه وسخطه على هذا كله .

لم يكن يفهم طبيعة هذه « الهبة » التي تلقاها ، والتي لا يعرف كيف يتحكم فيها . لقد كان كثيراً ما يندفع متكلماً عما « يراه » في عقله ، بما في ذلك تفاصيل حرجة عن حوادث الموت والكوارث وفضائح الحياة الزوجية ، ونتيجة لهذا تناقص نجاحه الاجتماعي يوماً بعد يوم . كانت أفضل أوقاته تلك التي يقضيها وحيداً ، يعمل في بعض القضايا التي تستهويه ، والتي كان يحل ألغازها بشكل تلقائي مفاجئ . وعن هذا كان يقول دائماً « ليس بإمكاني شرح هذا .. يمكنني فقط أن أشعر به .. » .

كما لم يكن بإمكانه أيضاً شرح السبب في تخوفه الدائم من استخدام « موهبته » هذه لأغراض التسلية والترفيه وتقاضي أجر عن ذلك يعيش منه . فهو في أغلب الأحيان لم يكن يتقاضى أجراً عن خدماته التي يقدمها للشرطة للمساعدة في كشف القضايا الغامضة ، على الرغم من أن مثل هذا النشاط كان يشغل معظم وقته ..

وقد عمل بيتر لفترة طويلة نسبياً في مجال غريب عليه . عمل كمستشار لطبيب فرنسي في باريس . كان ذلك الطبيب يعمل على استنباط مصل جديد للتحصين ضد مرض شلل الأطفال . وأثناء عمله ، حدث أن عدد من الأطفال توفي نتيجة لحقنه بمصل قديم إلى حد ما . وأثار هذا حير

الطبيب الباحث ، فخاطر بسمعته الطبية والعلمية باستخدامه واحداً من أصحاب القدرات العقلية المتميزة ليساعده في عمله ، وفي الإجابة عن سؤال : لماذا يتوفى الأطفال نتيجة للمصل المخزون ؟ .. ثم كيف يمكن تحسين المصل الجديد حتى تمتد فترة صلاحيته ؟ .

ورغم أن بيتر لم تكن لديه أية خلفية طبية ، فقد أفاد الباحث إفادة ملحوظة كمستشار طبي . أو هكذا على الأقل اعترف الطبيب الباحث ! . وقد ظهرت قصة تعاون بيتر هوركوس مع الطبيب الفرنسي في مجلة « باري ماتش » . هذا الموضوع بالذات ، هو الذي قرأه العالم الباحث دكتور أندريا بوهاريش ، مما ترتب عليه أن يسافر بيتر إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

لسفر إلى أمريكا .. !

ودكتور أندريا بوهاريش أمريكي من أصل يوغوسلافي ، تلقى دراسته الطبية في جامعة نورث وست ، حيث تخصص في علم وظائف الأعضاء والطب الباطني . كما حصل على مؤهل خاص في الدراسات العصبية ، وأمضى الكثير من السنوات يجري بحوثه العلمية على عمل العقل البشري والظواهر العقلية الخاصة مثل التخاطر والهلوسة وما يطلق عليه الحاسة السادسة ، من الناحية البيولوجية والفسيولوجية والنفسية .. ويعتبر دكتور بوهاريش من أعلام هذا النوع من الدراسات في أمريكا ، وصاحب مؤلفات قيمة فيها .

في عام ١٩٤٨ أنشأ دكتور بوهاريش معملاً للبحوث أطلق عليه اسم

« مؤسسة الدائرة المستديرة » ، في جلين كوف بولاية ماين ، المتاخمة لكندا . وقد تخصصت هذه المؤسسة العلمية في إجراء التجارب حول الظواهر العقلية . وقد قامت هذه المؤسسة بتوجيه الدعوة إلى بيتر هوركوس ، للإقامة مدة ستة أشهر ، تجرى فيها عليه التجارب لدراسة قدراته العقلية الخاصة التي يتمتع بها ..

استهوت الفكرة بيتر إلى حد بعيد لكنه أخذ يتساءل ، هل من المناسب أن يترك أوروبا الآن ؟ .. في الوقت الذي أصبح يحقق دخلاً لا بأس به ؟ .. أيسافر إلى أمريكا لكي تجرى عليه التجارب كما تجرى على فئران المعامل ؟ . لقد أصبحت له ارتباطاته في أوروبا . لقد أصبح منتظماً في قبض مكافأة سنوية من بعض المشروعات الصناعية ، ألا يظن أصحاب هذه المشروعات أنه يتحلل من ارتباطه بهم عن طريق السفر إلى أمريكا ؟ .. حقاً كانت الدعوة محددة بستة أشهر فقط لكن الستة أشهر هذه قد تصبح زمناً طويلاً في عمر الإنسان . كان السفر إلى أمريكا يعني بالنسبة له الافتراق عن أسرته وأصدقائه وعمله ، والذهاب إلى بلاد لا يعرف حتى لغتها ..

لكن ، خلف واجهة النجاح التي حققها بيتر ، كان ما زال يعاني من فشله في الوصول إلى إجابة واضحة عن الأسئلة التي ما فتئت تتردد على عقله منذ أن أفاق من غيبوبته بعد سقوطه من الدور الرابع إلى الأرض .. ألا يجوز أن يجد في أمريكا الإجابة المرجوة عن أسئلته هذه ؟ ..

على المائدة المستديرة :

سافر بيتر إلى أمريكا آخر الأمر .. والأشهر الستة امتدت إلى ما يقرب

من سنتين ونصف ، من العمل الجاد في إطار مؤسسة المائدة المستديرة . وكان على دكتور بوهاريش أن يمضي السنوات السبع التالية ، يجمع المادة العلمية والميدانية لكل ما يتصل ببيتر هوركوس . ولهذا فإن ملف بيتر في مؤسسة الدائرة المستديرة يعتبر أكمل ملف عنه ، يضم أكبر قدر من المعلومات والدراسات عنه وعن موهبته الغريبة .

لقد اعترف دكتور بوهاريش أنه لم يتثبت من قدرة بيتر في مجال السيكومتري إلا بعد شهرين من التجارب المتواصلة . والسيكومتري يطلق على قدرة الأشخاص على التقاط المعلومات عن الأشخاص من واقع متعلقاتهم وما يتصل بهم ، وهو ما تعرفه بعض الأوساط الشعبية عندنا باسم «الأثر» ، في نهاية هذين الشهرين ، وصل دكتور بوهاريش إلى نتائج لا يمكن الشك فيها ، لقد نجح بيتر هوركوس نجاحاً واضحاً في أربعة من كل خمسة اختبارات . كان الباحثون يعطونه أشياء مختلفة داخل أظرف سميكة معتمة من ورق المانيلا ، فراشة .. دبوس شعر .. زر .. وفي بعض الأحيان ورقة بيضاء . لقد كان قادراً على أن يتعرف على ما بداخل الظرف ، بمجرد لمس الظرف من الخارج .

وخلال تجاربه على بيتر ، أجرى دكتور بوهاريش دراسة على عمل خلايا عقله أثناء ممارسته لقدراته الخاصة باستخدام جهاز « اي . اي . جي » كما أعطاه ما يسمى عش الغراب المقدس ، الذي يحدث لدى الإنسان حالات متباينة من التأمل والتركيز والهلوسة ، وأجرى عليه التجارب داخل قفص فاراداي المعزول ، لقياس مدى قدراته التخاطرية .

قفص فاراداي المخيف !

كانت تجربة الاحتكاك الأولى لبيتر مع معمل البحوث تجربة مخيفة . فقد اقتيد إلى مكان تشغل أنحاءه الآلات المعقدة والأجهزة الغريبة لقياس كهرباء المخ ، وهذه الأسلاك الملونة التي تمتد بطول وعرض المعمل .. وبلغ خوفه مداه عندما رأى تلك الكابينة المعزولة التي يطلقون عليها اسم « قفص فاراداي » ، وخاصة عندما علم أن عليه أن يدخل فيها !

وقفص فاراداي عبارة عن وعاء مقفل من النحاس ، مصمم بحيث تحجب جدرانه الموجات الكهرومغناطيسية ، وغيرها من عناصر الكهرباء الأستاتيكية . إذا وضعنا جهاز راديو داخل قفص فاراداي ، فإن الجهاز يعمل بطريقة عادية إذا كان باب القفص مفتوحاً ، ولكن بمجرد إغلاق الباب ، وإذا لم تكن هناك أسلاك واصلة من خارج القفص إلى داخله ، يصمت جهاز الراديو تماماً .. ذلك لأن موجات الراديو تحجبها جدران القفص النحاسية ، ولا تنفذ إلى داخله .

كذلك إذا وضعت شحنة كهربائية على جدران قفص فاراداي ، فإن الشخص الذي بداخل القفص لن يشعر بهذه الشحنة الكهربائية ، حتى لو لمس جدران القفص من الداخل . فقفص فاراداي عبارة عن كابينة معزولة مغطاة بشبكة من الأسلاك النحاسية الدقيقة ، يندفع فيها من مولد كهربائي تيار قوي يبلغ في قوته ٢٥ ألف فولت .. ويشرح دكتور بوهاريش الغرض من استخدام قفص فاراداي في تجاربه فيقول إن توليد مجال كهربائي قوي لا يسمح للموجات الأخرى بالنفاذ . وفي حالتنا هذه يكون الهدف هو عزل الشخص صاحب القدرات العقلية الخارقة

بقدر الإمكان ، لمعرفة قدراته الحقيقية دون أن تصله أي مساعدة من مصادر خارجية قد لا نعرفها .

وقد نجح بيتر في تجارب التخاطر التي أجريت عليه وهو داخل القفص .. فاستطاع أن يتصل تخاطرياً بشخص خارج القفص رغم مرور الكهرباء بكل قوتها في جدران القفص . وقد ظهرت نتائج هذه التجارب العلمية بشكل تفصيلي في كتابين للدكتور أندريا بوهاريش هما كتاب « عش الغراب المقدس » وكتاب « ما بعد التخاطر » .

* * *

في يونية ١٩٦٠ ، أثار اهتمام بيتر هوركوس ما ينشر بغزارة عما كان يطلق عليه اسم « جريمة فرجينيا » ، أو ما يطلق عليه قضية كارول جاكسون . وقد أسعده أن يستدعيه دكتور ف . ريجيس ريزنمان للاشتراك في كشف غوامض تلك الجريمة .. وكان دكتور ريزنمان من ألمع الأطباء النفسيين بواشنطن ، وأحد المتخصصين في علم الجريمة ..

يسافر بيتر إلى واشنطن . وفي نيته أن يبذل جهده في كشف أسرار تلك الجريمة التي يهتم بها .. لكن تشاء الظروف أن تكشف هذه الزيارة عن جانب آخر من قدراته الغريبة وتكون بطلة هذا الاكتشاف الطفلة ماري أليس ابنة دكتور ريزنمان المشلولة والتي لم تبلغ بعد الثالثة من عمرها .

مَن القَاتِل..
عَازِفُ الجيتَار.. أم عَامِل القُمَامَة ؟

كان سفر بيتر هوركوس إلى فرجينيا للمساهمة في حل غوامض قضية كارول جاكسون بناء على طلب دكتور ريزنمان ألمع الأطباء النفسيين بواشنطن ، وأحد الثقات في علم الجريمة . وعندما كان بيتر في منزل الدكتور ريزنمان يتلقى كلمات الترحيب منه ومن زوجته ، شعر بانجذاب نحو ابنتهما الصغيرة ماري أليس التي كانت قد تجاوزت بالكاد السنتين والنصف من عمرها ، وهي أصغر أبناء ريزنمان السبعة . كانت ماري مريضة منذ ولادتها ، لا تستطيع السير . وقد أجمع الأطباء على أنها مصابة بشلل مخي لن يتيح لها المشي على قدميها طوال حياتها .. لكن بيتر هوركوس كانت له وجهة نظر أخرى .

بدون مقدمات ، وضع بيتر يده على ظهر الطفلة ماري قائلاً « هذه الطفلة ستتمكن من السير على قدميها لأول مرة في عيد ميلادها ، يوم ٢١ ديسمبر . وبعد هذا بأربعة أيام ، في احتفالات الكريسماس ، ستتمكن من السير حتى شجرة عيد الميلاد ، وتتناول هداياها بيدها .. ثم تواصل السير بعد ذلك » ..

ساد صمت شامل في أعقاب هذه الكلمات . فقد كان ذلك الموضوع مصدر ألم للأسرة .. وكانت الأسرة قد وطدت النفس على قبول القرار

المؤلم الذي صرح به الأطباء .. وكلمات بيتر هذه ، تنكأ الجروح التي لم تكد تندمل .

قال بيتر كلماته يوم ١١ يونية ١٩٦٠ . وجرى كل شيء بعد ذلك بالضبط كما قال ! . في ٢١ ديسمبر حدثت المعجزة عندما خطت الطفلة خطواتها الأولى ثم سقطت على الأرض . وجاهدت لكي تنهض في محاولة لمواصلة السير . وفي الكريسماس ، بالضبط كما توقع بيتر ، بدأت تخطو بنجاح نحو شجرة عيد الميلاد ، ووقفت إلى جوار الشجرة تبتسم لأفراد العائلة . ومنذ ذلك التاريخ اطرد التحسن في حالتها ، حتى أصبحت تسير بشكل عادي وبلا صعوبة .

يقول دكتور ريزنمان .. « ذكر بيتر في ذلك اليوم ان ابنتنا ستعاني من بعض المتاعب نتيجة لخلل في قدرتها على تمثيل الطعام .. ومنذ أيام قليلة تحقق ذلك ، ووضعت البنت تحت الرعاية الطبية .. » ويعقب دكتور ريزنمان قائلاً « يعتبر بيتر هوركوس من أعظم أصحاب القدرات العقلية الخارقة فيما يتعلق بالنظر في الماضي ، والغوص في الزمن السابق لاستقبال المعلومات ، وهو ما يطلق عليه (ريترو كوجنيشان) ، كما أن لديه أيضاً القدرة على قراءة المستقبل (بري كوجنيشان)، أو التنبؤ بالأحداث القادمة ، لكن موهبته الحقيقية تكمن في استعادة الماضي والنظر فيه ، والوصول من ذلك إلى الحقائق الخافية . ولعل أفضل انجازاته هو ما يقوم به في مجال كشف الجرائم والقضايا الغامضة » .

كما يذكر دكتور ريزنمان أن مواهب هوركوس في العلاج من الأمراض ، لا تصل أبداً إلى مواهب سلفه ادجار كايس الذي كان

أعظم أصحاب القدرات الخارقة تمكناً في التشخيص ووصف العلاج ، دون أية دراسة طبية سابقة . لكن دكتور ريزنمان يستدرك ، مستنداً إلى خبرته الخاصة المتصلة بما قاله بيتر بخصوص ابنته المشلولة « ربما كانت القدرة على التشخيص والعلاج كامنة عند بيتر .. ولم يتح لها أن تتبلور » .

عملية إجهاض .. أليس كذلك ؟

ذات يوم صافح بيتر سيدة لم يكن قد رآها من قبل ، ثم قال مندفعاً « أنت مصابة بالتهاب المفاصل ! » فأجابت السيدة بوجوم « نعم .. منذ ٢٤ سنة .. » . سألها بيتر بعد ذلك أن تكتب أي شيء على قصاصة من الورق . تناول بيتر الورقة ومر عليها بأطراف أصابعه ، ثم قال « والدتك مريضة .. لديها متاعب في هذه المنطقة .. » ، وأشار بيده إلى منطقة الحوض . وسط اندهاشها الشديد ، أيدت السيدة أقواله ، وقالت إن والدتها أصيبت بكسر في عظام الحوض .. وأنها الآن في دور النقاهة .

تقول نورما برونتج التي وضعت كتاباً شاملاً عن بيتر هوركوس أنه ذات يوم أفزع واحدة من ضيوف حفلة كانت تقيمها ، عندما اندفع يحدثها عن عملية اجهاض أجرتها منذ وقت قصير . قال بيتر للضيفة بعد أن صافحها » أنت عندك طفلان صغيران ، أليس كذلك ؟ .. كان من الممكن أن يصبح لديك ثلاثة ، لكنك فقدت الثالث منذ عهد قريب في شهر أغسطس الماضي .. عملية اجهاض .. ثم أصبحت حاملاً مرة أخرى على الفور ! » .

لم تكن نورما تعرف شيئاً عن الحياة الخاصة لضيفتها ، وكانت معرفتها

بها معرفة عمل سطحية .. وتحكي أنها وجدت السيدة وقد سادها ارتباك شديد ، كما لاحظت أنها بدأت ترتعش من فرط انفعالها ، وقد بدا وجهها أبيض شاحباً . بعد قليل ، لحقت المرأة الضيفة بنورما وهي تعد شيئاً في مطبخ بيتها ، وقالت وهي ما زالت مشدوهة « تصوري ! .. حتى زوجي لا يعرف بأمر الاجهاض الذي قمت به .. كيف أمكنه أن يعرف ذلك ؟! » .

لقد ذكر بيتر لهذه السيدة ، من بين ما ذكر ، الكثير عن تفاصيل حياتها الخاصة وزواجها ، وكانت كلها معلومات دقيقة وصحيحة . وقد اختتم حديثه معها ، بأن رفع أصبعه وأشار إلى فمها قائلاً « أنت تحتاجين هنا إلى حشو أحد الأضراس .. هذا .. لا .. هنا بالضبط ..!» وكان ما قاله لها صحيحاً تماماً ..

وذات مرة قال هوركوس للمؤلف السينمائي جو هيامز، زوج الممثلة اليك سومر ، عندما كان في هوليود « تأتي عليك أوقات تشعر فيها أن ذراعيك ثقيلتان جداً بحيث يصعب عليك رفعهما .. إذهب إلى أحد أطباء العلاج الطبيعي ، ودعه يعتني بعمودك الفقري ، وستتحسن حالتك .. وبالمناسبة ، ابنك أيضاً لديه استعداد لظهور متاعب في أذنه .. أليس كذلك ؟! » . كان هيامز بطبيعته من المتشككين في قصة القدرات العقلية الخارقة ، إلا أنه اعترف بأن هوركوس كان مصيباً في الحالتين ، حالته وحالة ابنه . وقد توجه بالفعل إلى أحد أطباء العلاج الطبيعي ، فقام بعلاج عموده الفقري وانتهى ما كان يعاني منه ، كما أن متاعب الأذن ظهرت على ابنه بعد ذلك ..

هوركوس يعالج نفسه .. !

إذا كان بيتر هوركوس لم يبد ما يفيد استعداده لعلاج البشر من أمراضهم ، فقد أثبت على الأقل أنه قادر على معالجة نفسه ! .

حدث ذلك في مساء ١٧ مايو ١٩٥٨ ، في منزل رجل الأعمال المشهور السيد بيلك في نيويورك . اجتمع في ذلك المساء عدد من أصدقاء بيلك في حفل اجتماعي يضم عدداً من رجال الأعمال . وكان بيتر ضمن المدعوين . أثناء السهرة ، تعثر بيتر في شيء على الأرض وسقط ، وقد التوت قدمه تحت ثقل جسمه الضخم . ووفقاً لرواية رجل الأعمال بيلك « لقد ظهر جانب من أحد عظام الساق خارج الجلد ، وقد لوثت الدماء كل شيء ؟! »

صرخ بيتر متألماً ، فحمله بعض الرجال إلى السرير . يقول بيلك إن بيتر نكس رأسه كما لو كان في حالة صلاة عميقة ، وحدث بعد ذلك « تحت أنظارنا جميعاً ، أعاد بيتر العظمة إلى مكانها ، وتوقف النزيف في مكان الجرح .. لقد رأيت ذلك بعيني ! . رأيت طرف العظمة يخرج من الجلد ، ثم يدخل ثانية ؟ ! .. »

أما رواية بيتر نفسه عن ذلك الحادث فتقول « كان هناك تسعة أشخاص .. أذكر أن الألم كان هائلاً ، وقد تورمت قدمي بشكل ملفت ، وكان كعبي متدلياً . وضعوني على السرير ثم خلعوا حذائي ، وقد أعدت العظمة إلى مكانها بيدي ، وقلت لمن تجمعوا حولي : أريد أن أستريح ، اتركوني بمفردي . لقد كان الألم فظيعاً ، وكنت أفكر ساعتها : ما الذي سأفعله الآن ؟ أمامي الكثير من العمل . لم أكن أرغب في أن أذهب

لأقيم في المستشفى .. لا أعلم ماذا فعلت ، لكن في ظرف ساعة واحدة كنت قادراً على السير .. كنت أشعر ببعض الألم ، لكني كنت قادراً على المشي .. وفي اليوم التالي اختفى الألم تماماً .. وإن بقي أثر الجرح واضحاً على قدمي حتى اليوم .. ! »

سألت نورما بيتر قائلة « هل استخدمت التنويم المغناطيسي الذاتي في علاج نفسك ؟! » .. أجاب بيتر حائراً « لا أعلم ماذا فعلت .. فقط كنت أركز .. وأقول لنفسي .. لا أريد أن أذهب إلى المستشفى .. يغلب على ظني أن ما حدث هو ما تطلقون عليه تأثير العقل على المادة ! » .

فسألته نورما « هل تعتقد أنك من المعالجين ، من أصحاب القدرة على شفاء البشر دون الاعتماد على الأساليب الطبية ؟ .. » ، أجاب بحسم « لا .. بالقطع لا .. لم يحدث أن عالجت أحداً أو شفيت أحداً .. ليس هذا صحيحاً ! » .

سر الغضب الهائل !

رغم أن دكتور أندريا بوهاريش هو الذي سعى إلى استدعاء بيتر هوركوس إلى أمريكا ، بهدف إجراء البحوث عليه في مؤسسة المائدة المستديرة ، إلا أن الفضل في وصوله إلى أمريكا يعود في حقيقة الأمر إلى رجل الأعمال هنري بيلك الذي قام بتمويل المشروع . قرأ بيلك عن بيتر في الجرائد الأوروبية ، ولما كان مهتماً بالبحوث التي تجري حول القدرات الخارقة للعقل البشري ، فقد سعى لاستدعائه .

يقول هنري بيلك « لقد سمعت عن هوركوس ، وفكرت أن بالإمكان

الاستعانة به في تنظيم أحوال متاجري الكبيرة ، فقد كانت لدينا بعض المتاعب في سير حركة البيع بهذه المتاجر ، وبالتحديد بعض المشاكل المتصلة بأمانة جانب من العاملين بها .. لقد حاولنا كشف هذه العناصر المخربة فلم ننجح ، لهذا فكرت في أن شخصاً مثل هوركوس يمكن أن يساعدنا في حل مشاكلنا هذه .. وهكذا عملت على الجمع بين بوهاريش وهوركوس .. لقد كلفني هذا خمسة آلاف دولار .. ومع ذلك لم أستفد شيئاً من هوركوس هذا ! » ..

فما هو سر غضب بيلك على بيتر هوركوس ؟

السر في ذلك يكمن في واقعة خاصة أثارت غضب بيلك دون وجه حق . فقبل هذه الواقعة كان هنري بيلك يضع ثقته الكاملة في بيتر ويعتمد على نصائحه في إجراءات عمله التجاري . ثم حدثت المأساة العائلية التي أثارت حفيظة بيلك عليه . وقد بقيت ذكرى تلك الواقعة المؤلمة محفورة في ذاكرة هوركوس .

في يونيو عام ١٩٥٧ ، اختفت ابنة بيلك ذات الأعوام العشرة من بيتها في نورث كارولينا ، بينما كانت تلعب . وعلى مدى ساعات طويلة ، قام رجال الشرطة بتمشيط المنطقة والشوارع المحيطة بها . أجرى الوالد المذعور اتصالاً تليفونياً مع بيتر هوركوس الذي كان في ذلك الوقت بمنزله في ميامي . وكان الوالد بيلك يأمل أن تساعد مساهمة هوركوس الشرطة في العثور على ابنته . عندما فهم بيتر الموضوع ، قال للوالد إنه سيركز ، ثم يتصل به مرة ثانية .

يحكي بيتر عن ذلك فيقول « تلقيت المكالمة في وقت متأخر من

الليل .. لن أنسى ذلك أبداً .. قال لي هنري بيلك : بيتر ، ابنتي مفقودة في الغابات ، لا أستطيع أن أعثر عليها . فقلت له : أتمنى أن تجدها ، لكني لم أر شيئاً في ذلك الوقت .. لم يستقبل عقلي شيئاً ما حول الإبنة الضائعة أو ما يتصل بها . أخبرته أنني سأركز ثم أعود للاتصال به .. وبمجرد أن وضعت سماعة التليفون ، رأيت صورة واضحة ! . لقد كانت الابنة غارقة بالقرب من مربط القوارب ، في مياه يبلغ عمقها ستة أقدام .. لم أدر كيف أنقل إليه ذلك . أخيراً تشجعت واتصلت به تليفونياً ونقلت إليه ما رأيت . وكان وقع هذا عليه فظيعاً .. طلبت منه أن يبحث ناحية مربط القوارب ، وأن يركز في البحث عند العمود الأخير على الجانب الأيسر ، حيث سيجد ابنته على عمق ستة أقدام .. » .

أسرع بيلك إلى البقعة التي حددها بيتر عند النهر ، حيث وجد جثمان ابنته بالضبط في الموقع الذي حدده بيتر . فقد بيلك أعصابه لفقد ابنته ، وشعر بمرارة نحو بيتر ، وكان يقول « ألم يستطع أن ينظر في المستقبل .. لماذا لم يشر إلي بما سيحدث حتى أتخذ الاحتياطات الكافية لإنقاذ حياة ابنتي ؟ ؟ ؟ » .

عن هذا يقول بيتر « إنه لم يسامحني قط على ذلك .. ظل يسأل .. لماذا لم أخبره أن ابنته ستغرق ؟! لكني لم أكن أرى شيئاً عن ذلك .. أنا أتكلم فقط عما أراه بعقلي .. لم أزر بيلك في بيته أبداً .. كيف كان بإمكاني أن أعرف أن ابنته ستغرق ؟ .. عندما اتصل بي وقال إنها ضائعة .. بمجرد أن وضعت السماعة . رأيت الصورة كاملة فاتصلت .. لكنه راح يلومني على ذلك ، ثم فصلني ، ولم يغفر لي أبداً ما حدث .. » .

ويهز بيتر رأسه بأسف وهو يقول بصوت هامس « إذا كانت موهبتي تتيح لي أن أرى الأحداث بعد أن تقع ، لماذا لم تسعفني هذه الموهبة بالصورة في الوقت المناسب حتى أساعد على إنقاذ الفتاة ؟ .. لماذا ؟ .. لماذا ؟ . » ! .

الوشم على الذراع .. !

سريعاً ما ذاع صيت بيتر هوركوس في الولايات المتحدة كصاحب قدرات خارقة في كشف غموض الجرائم والقضايا المعقدة . وعندما كان يقيم في ميامي ، أثناء عمله لحساب رجل الأعمال هنري بيلك ، كانت شرطة ميامي تعتمد عليه ، وتستدعيه ، كلما غمض عليها شيء .

ومن القضايا التي أكسبته شهرة واسعة ، تلك التي عرفت باسم « قضية سميث » أو « الجريمة المزدوجة » ، تلك الجريمة التي حدثت في شهر أكتوبر ١٩٥٨ . فقد قتل أحد قادة البحرية الأمريكية في شقته . وبعد ساعات من هذا قتل سائق تاكسي داخل سيارته . كانت أداة القتل في الحالتين مسدساً أتوماتيكياً عيار ٢٢ ، ومن هذا استنتجت الشرطة أن القاتل في الحالتين واحد .

مضت الأسابيع ، والشرطة لم تصل بعد ولو إلى خيط دقيق تبدأ منه عملها في حل ألغاز هذه الجريمة المزدوجة . فاستدعى رجال الشرطة بيتر هوركوس للمساعدة ، دون أن يكشفوا له عن استنتاجهم الوحيد ، بأن القاتل واحد في الحالتين . فأجلسوه على مقعد سائق التاكسي ، حتى ينقل إليهم الانطباعات والأفكار التي تطرأ على عقله .

كم كانت دهشتهم عندما راح بيتر يصف ، ليس فقط مقتل السائق ،

بل تفاصيل الجريمتين معاً ! .. مؤكداً أن القاتل واحد في الحالتين ، وقال في وصف القاتل إنه طويل ورفيع ، على ذراعه اليمنى وشم ، ويمشي بتبختر ، شأن البحارة ..

ثم توصل إلى حقيقة يندر أن يصل إليها أصحاب القدرات العقلية الخارقة ، لقد استطاع أن يحدد اسم القاتل : عندما قال « إنه رجل معروف جيداً في هافانا وديترويت .. واسمه سميتي ! » . وقد كشفت تحريات الشرطة بعد ذلك أن القاتل كان اسمه بالكامل شارلز سميث ، يعرف بين أصحابه باسم سميتي ، وهو بحار تجاري ، قد أبحر إلى كوبا ، ويتميز بقامة طويلة ورفيعة .

حصلت شرطة ميامي على صورة سميتي من أرشيف صور المجرمين في ميتشيجان ، فتعرفت عليه جرسونة في ميامي ، وقالت إن الرجل من زبائن المكان ، وأنها تنصتت ذات مرة على حديث له مع آخرين ، فسمعته يتباهى بأنه قتل رجلين . وقد اتفق وصفها مع الأوصاف التي ذكرها بيتر ، من حيث قوامه ، ومن حيث طريقته المتبخترة في السير .

بعد أقل من شهر تم القبض على القاتل في نيو أورليانز ، حيث اعترف بجريمتيه .

اتصلت الكاتبة نورما بروننج بالنقيب توم ليب الذي تولى تلك القضية ، وكانت دهشتها كبيرة عندما وجدت رجل شرطة يعترف بحماس بقدرات بيتر العقلية الخارقة . فقد قال لها « قد يتهمنا البعض بالجنون لاعتمادنا على مساعدة رجل من أصحاب القدرات العقلية الخارقة في الكشف عن جرائمنا .. إذا شئت الصراحة ، أكثر زملائي هنا يرفضون الاعتراف

بالمساعدات التي قدمها بيتر هوركوس .. ربما كان من الممكن أن نصل إلى حل ألغاز هذه الجريمة بعد مزيد من الوقت والجهد ، لكن الذي لا شك فيه أن بيتر قدم لنا الكثير من المعلومات المدهشة التي ساعدتنا على الوصول إلى القاتل .. لقد مر علي في عملي الكثير من الأفاقين والنصابين والدجالين ، وقد تدربت على كشف ألاعيبهم .. لكني واثق من أن بيتر هوركوس شخص أمين ومتواضع .. ! » .

اختلاط الذبذبات !

ومن القضايا التي شارك فيها بيتر وحظيت بقدر واسع من الدعاية ، قضية « جاكسون » التي وقعت في فولز تشيرش بفرجينيا خلال يونية ١٩٦٠ . لقد ارتكب بيتر غلطة في المعلومات التي أعطاها عن هذه القضية ، وهي غلطة تكشف جانباً من طبيعة عمل موهبته التي يتمتع بها . ويؤكد دكتور ريزنمان أن عمل بيتر في هذه القضية يعتبر من أنجح أعماله ، رغم ما قامت به صحافة واشنطن من هجوم عليه ، نتيجة للغلطة التي ارتكبها .

عندما استدعي بيتر للمساعدة في حل معميات هذه القضية ، كان قد مضى على وقوعها أكثر من سنة ونصف ، دون أن تصل الشرطة إلى دليل أو مؤشر .. وهكذا قرر دكتور ريزنمان استدعاءه .. كانت الشرطة قد وضعت يدها على أكثر من ١٥ شخصاً واستجوبتهم ، في محاولة لكشف ألغاز هذه الجريمة الرباعية التي قضت على عائلة بكاملها من عائلات فولز تشيرش ، الأب والزوجة والإبنتان الصغيرتان . وكان السر في

تحمس دكتور ريزنمان لاستدعاء بيتر هو أن قائمة المشتبه فيهم بلغت ١٦٥ شخصاً ، من بينهم إثنان من المرضى النفسيين كانا ضمن من يشرف الطبيب النفسي على علاجهم . كان ريزنمان متأكداً من براءة هذين المريضين ، كما كان في نفس الوقت مهتماً بكشف غوامض جريمة جاكسون التي طال عمل الشرطة فيها دون نتائج ملموسة .

عندما عرض دكتور ريزنمان على الشرطة استدعاء بيتر هوركوس للمساعدة على نفقته هو شخصياً ، وافقوا بعد أن أبدوا رغبة في ألا يصل خبر هذا إلى الصحافة ، وكانت هذه هي رغبة بيتر نفسه ، ومع هذا فقد تسرب الخبر إلى الصحف ، وهكذا واكب وصول بيتر إلى فولز تشيرش ضجيج إعلامي صاخب .

يوم وصول بيتر ، تنبأ في لقاء تليفزيوني بأن المجرم سيقع في أيدي الشرطة خلال أسبوعين ، ثم قال إن لذلك المجرم خمس ضحايا سابقة على ضحاياه الأربع في هذه القضية . وأمام عدسات التليفزيون رسم تخطيطاً لواجهة منزل بالقرب من غابة وبشرفته مقعد مكسور قائلاً « ابحثوا عن هذا البيت ، تعثروا على القاتل .. » . كما قال ساعتها إنه يرى بداخل ذلك البيت عدة صناديق من الورق المقوى ، بداخلها كتب .

اصطحبت الشرطة بيتر هوركوس في بحثها عن ذلك المنزل .. عندما وصلوا إلى بيت قريب من الغابات ، أشار بيتر إلى البيت وهو يقول إن المجرم يقيم في هذا البيت . وكانت هذه هي غلطة بيتر الكبرى .. فهو لم ينتبه إلى أن المجرم كان قد انتقل من هذا البيت ، ليحتله شخص آخر يعمل في جمع القمامة ! ..

ومع هذا ، فالغريب في الأمر ، والذي لم يكن بيتر يعرفه ، هو أن القاتل وجامع القمامة قد تعاقبا على سكنى البيت ، وكانا ضمن قوائم المشتبه فيهم التي بين أيدي الشرطة .

وكانت دهشة الشرطة كبيرة عندما قادهم بيتر بعد ذلك إلى كوخ مهجور وسط الغابات على بعد ٥٠ قدماً من موقع ارتكاب واحدة من الجرائم الأربع ، وهو يقول « كان القاتل هنا .. إذا بحثنا فسنجد شيئاً ينفعنا في كشف ما خفي من هذه الجريمة .. » . بعد البحث في الرمال المحيطة بالكوخ ، وجدوا سواراً فضياً من الذي يضعه الرجال في معاصمهم ويكتبون عليه الإسم.. وعلى ذلك السوار كان اسم جامع القمامة ! .

اقتنع رجال الشرطة بأنهم قد وضعوا أيديهم على الرجل المطلوب ، فقبضوا على جامع لقمامة واستجوبوه ، فاعترف بارتكابه الجرائم الأربع .. وهللت الصحافة لبيتر الذي استطاع أن يصل إلى القاتل خلال ثلاثة أيام فقط .

لكن القنبلة المدوية انفجرت بعد ذلك بعشرة أيام عندما قبضت الشرطة الفدرالية على رجل آخر في أركانساس يبلغ الواحدة والثلاثين من عمره يدعى ملفين دافيز ريس ، ويعمل عازفاً في فرق موسيقى الجاز . وقد كان ريس متهماً قبل ذلك بقتل امرأة تدعى مارجريت هارولد ، عثر على جثتها بالقرب من المكان الذي عثر فيه على جثة السيدة جاكسون وابنتيها بعد ذلك . وعند محاكمة ريس ثبتت عليه تهمة قتل أفراد عائلة جاكسون وأدين بذلك .

لماذا أخطأ بيتر في تحديد شخص القاتل ؟ .. ولماذا أشار إلى جامع

القمامة بدلاً من أن يشير إلى الفاعل الحقيقي ريس ؟ ..

يحاول دكتور ريزنمان أن يجيب عن هذا التساؤل ، فيقول إن بيتر ، برغم كل شيء ، قد أعطى أوصافاً للقاتل تنطبق على الشخصين ، ريس وجامع القمامة . كما أن الرجلين عاشا على التوالي في ذلك المنزل ، ومن المحتمل أن تكون ذبذباتهما قد اختلطت فيه . ويرجح دكتور ريزنمان أن بيتر قد توصل إلى تحديد جامع القمامة نتيجة اعتماده على التخاطر ، فقد قرأ أفكار رجال الشرطة الذين كانوا مصممين على أن جامع القمامة هو المجرم ، وأن ما أعطاه من بيانات صحيحة أخرى ، حصل عليها عن طريق « السيكو متري » وهو التعرف على الشخص ومعلومات عنه من خلال آثاره التي يتركها على الأشياء من خلفه ..

ومع هذا فقد صدق بيتر في كثير من المعلومات التي أدلى بها حول هذه القضية . فهو مثلاً عندما اقتيد إلى ساحة الكنيسة التي دفنت بها جثث عائلة جاكسون ، وأعطي بعض متعلقاتهم ، أدهش الشرطة بوصفه أوضاع جثث القتلى ساعة العثور عليها . كما شرح بالتفصيل الطريقة التي قتلت بها كل ضحية . كما أشار إلى أن السيدة جاكسون كانت قد اغتصبت قبل قتلها ، الأمر الذي لم يكن يعرفه سوى قلة من رجال الشرطة . بل لقد قال لرجال الشرطة إن السيدة جاكسون كان في فمها ٣١ سناً فقط ، وعند مراجعة تقرير المشرحة ، ثبت صدق قول بيتر .

ونقطة أخرى ، لقد قال بيتر عند وصوله إن القاتل سيقع في يد الشرطة بعد ١٤ يوماً ، وإنه ارتكب تسع جرائم وليس أربع جرائم فقط . وقد

قبضت الشرطة الفيدرالية على ريس بعد ١٤ يوماً بالضبط ، وقد اعترف بارتكابه خمس جرائم أخرى غير قتله لأفراد عائلة جاكسون .

تقول السيدة نورما برونتج التي وضعت كتاباً عن بيتر هوركوس « الثابت أن أقوال ومشاعر بيتر هوركوس لا تصدق مائة في المائة دائماً .. والأهم من ذلك أنه لم يدع هذا أبداً .. ولو كان قد ادعى ذلك ، لعرفت أنه نصاب .. » . ثم تحكي نورما بعض الوقائع التي تسند رأيها هذا .

الهيكل العظمي عند جبل « الأثر المفقود »

لم يقل بيتر هوركوس بقدرته على الوصول إلى الحقائق الكاملة . لم يزعم أبداً أن جميع ما ينطق به صحيح مائة في المائة .. كانت في عقله الصور أحياناً ، وتتشابك الأصوات في أحيان أخرى .. دائماً ، أنا أنطق بما أراه من صور وأسمعه من أصوات . بل كان في بعض الأحيان ، وكأنه قد فقد كل قدرته على استنباط المعلومات الأشياء التي يتحسسها .

تحكي الصحفية نورما برونتج عن هذا فتقول « أعطيته يوماً علبة على بعض المجوهرات الخاصة بفتاة قتلت في شيكاغو . كان الحزين قد رجاني أن أقدم العلبة إلى بيتر ، على أمل أن يدلي المعلومات التي قد تقود إلى القاتل . وكانت نتيجة هذه المعلومات كبيراً ! .. إنه لم يستطع حتى أن يشير إلى محتويات الصندوق ، أو على طبيعة ما به .. لكنه ، إحقاقاً للحق ، اعترف بهذا صراحة وهو « آسف .. أنا لا أرى شيئاً .. لا أشعر بشيء .. لا شيء بالمرة .. لا لماذا ! » .

وتستطرد نورما قائلة « عندما لا يرى أو يشعر بشيء ، لا تكون فائدة في الضغط عليه . كان يبدو عليه الضيق والتردد عندما يطلب أن يقدم معلومات عن شيء ما ، عندما يكون متعباً ، أو لا يكون في

المزاجية المناسبة .. وقد لاحظت أن أكبر إنجازاته تأتي بشكل تلقائي مفاجئ ، تنطلق منه وكأنها تندفع رغم إرادته ! » .

وأثناء اللقاءات التي جمعته بنورما ، أثناء إعدادها لمادة الكتاب الذي وضعته عنه ، كانت تشهد النماذج المتكررة لهذه الإنفجارات . كان يكفي أن يمسك بأي شيء يتصل بها .. مذكرتها ، قلمها الرصاص ، كتاب من كتبها ، أو أي شيء فوق مكتبها ، حتى تجده يندفع ذاكراً لها أدق وأخص تفاصيل حياتها .. ربما تلك التي لا يعرفها زوجها نفسه ! ..

وحتى نرى صورة أخرى لنوع الأخطاء التي يقع فيها بيتر هوركوس أثناء ممارسته قدراته الخاصة ، نورد القصة التي حدثت في سبتمبر ١٩٦٨ ، عندما جاء لمقابلته من هيوستون دكتور روبرت باكلين وزوجته . لقد جاءا إليه لاستشارته بشأن ابنهما الذي كان ضمن القوات البحرية الأمريكية ، ثم اختفى فجأة وانقطعت أخباره .. وكان اختفاء الابن في أعقاب إحدى إجازاته عندما كانت القطعة البحرية التي يعمل عليها ترسو على الشاطئ الفييتنامي .

ماذا قال لهما بيتر ؟ .. قال إن ابنهما ما زال على قيد الحياة ، وإنه أصيب بجرح في رأسه ، وإنه يتجول حالياً في أستراليا نتيجة لحالة اضطراب نفسي استولت عليه ، ورجح أنه موجود في ذلك الوقت في مكان ما بالقرب من ملبورن .

قبل أن يلتقي الزوجان ببيتر ، كانا قد قررا السفر إلى الشرق الأقصى للبحث عن ابنهما ، فقد بلغهما أن البحرية الأمريكية وضعته في قائمة الفارين من الخدمة العسكرية ، وكان الوالدان يؤمنان بأن ابنهما ليس

من خلقه أن يفر من الخدمة العسكرية ، ورجحا أنه تحت تأثير ظرف خاص دفعه إلى عدم العودة إلى موقعه .. وقررا أن يكشفا عن هذا السر .

عندما عثر الوالدان على ابنهما في آخر الأمر ، بدا وكأن بيتر قد أخطأ في أكثر من جانب . لقد وجدا الابن متزوجاً من جرسونة أسترالية في الثانية والعشرين من عمرها ، يعيشان بالقرب من سيدني في محاولة للاختفاء من وجه السلطات . ولكن مع مزيد من التقصي لتفاصيل ما حدث للابن ، بدأت تتضح صحة الجانب الأكبر من تنبؤات بيتر .

قال الأومباشي جيمس لوالده الدكتور باكلين إن القصة بدأت بشعور قوي استولى عليه ، شعور بأنه سيموت في المعركة القادمة .. وعندما أبدى الوالد استنكاراً لهذا ، قال جيمس إنه كان يرى زملاءه في البحرية يتنبأون بوفاتهم ، بل ويحددون الساعة المعينة للوفاة ! . عندما ساد جيمس ذلك الشعور ، استولى عليه اضطراب وخوف شديدان ، فاستغل الإجازة الممنوحة له وسافر إلى أستراليا ، بحثا عن مكان هادئ ، يتأمل فيه وضعه ويستبين حقيقة مشاعره . صباح اليوم الأخير من إجازته قرر جيمس ألا يعود إلى الخدمة العسكرية .. وفي نفس اليوم التقى بالفتاة التي تزوج منها .

وقد ثبت أن جيمس كان قد أصيب بشظايا في ظهره وساقيه « وليس في رأسه كما قال بيتر » ؛ وبعد زواجه قام مع زوجته الأسترالية بجولات واسعة في أنحاء أستراليا لعدة أشهر ، وقطعا في هذه الجولات ما يصل إلى ثلاثة آلاف ميل . أغرب ما في الأمر ، أنهما كانا بالقرب من مدينة ملبورن . تقريباً في نفس الوقت الذي التقى فيه الوالدان ببيتر .. وهكذا

أصاب بيتر في كل ما قاله ، ما عدا تحديده لإصابة الرأس .

الطائرة المفقودة ....

ومن القضايا المثيرة التي عالجها بيتر ، حادث الطائرة المفقودة .

بعد حكاية الابن الهارب من الجيش بثلاثة أشهر ، أي في ديسمبر ١٩٦٨ ، تلقى بيتر مكالمة عاجلة من الضابط بيتر سويفت ، من إدارة شرطة بالم سبرنجز ، يسأله المساعدة في تحديد مكان طائرة مفقودة .

كان روبرت كلين الطيار السابق في القوات البحرية يقود طائرة خاصة ، وفي طريقه من فيونكس إلى براون فيلد سانديجو ، مصطحباً معه في الطائرة مساعد الطيار فرانك كاربنتر وطالباً تحت التدريب .. كان هذا هو كل ما عرف عن الطائرة بعد ذلك ، عندما تلقى ضابط الشرطة سويفت مكالمة من سانديجو في ٢١ ديسمبر ، تفيد أن محطات المراقبة الأرضية قد فقدت اتصالاتها بالطائرة .

بدأ ضابط الشرطة سويفت مع زميل آخر هو كين ليستر البحث عن الطائرة المفقودة ، ذلك لأن سويفت كانت تربطه بالطيار المفقود كلين صداقة وزمالة قديمة في قيادة طائرات السلاح البحري . وقد تشعبت جهود البحث ، فشاركت فيها طائرات الدورية المدنية ، والفرق المختصة ، كما تولت فرقة البحث تحت الماء في المناطق التي ضمن خط سير الطائرة ، بالإضافة إلى دوريات السيارات التي راحت تمسح المنطقة على مدى يومين كاملين .

بعد كل ذلك الجهد ، توقف البحث . فلم يتم العثور على أي أثر

للطائرة ، أو لحطامها في البر أو في البحر . وكانت الطائرة الضائعة قد قطعت في طيرانها منطقة واسعة من المرتفعات الوعرة التي تخترقها سلاسل الجبال . وأثناء عملية البحث هذه هبت على المنطقة عاصفة من أسوأ العواصف الشتوية ، الأمر الذي أدى إلى سقوط إحدى طائرات البحث التي كان يقودها طيار صديق للطيار المفقود روبرت كلين ، فتحطمت الطائرة ، ومات قائدها .

ومع هذا فقد واصل الضابط سويفت وزميله ليستر البحث عن الطائرة المفقودة . قرأ سويفت في الصحف أن بيتر هوركوس موجود في بالم سبرنجز ، وكان قد سمع عن صيته الذائع في كشف القضايا الغامضة . ورغم أن سويفت وزميله لم يكونا يؤمنان بمسألة القدرات الخارقة للعقل البشري ، لكنهما كانا مستعدين للجوء إلى أي شيء يساعدهما في العثور على طائرة صديقهما المفقود .

اتصل سويفت ببيتر ، فوافق بيتر وقال إن مساعدته ستكون أكمل ، لو أنهما أحضرا له شيئاً من ملابس الطيار المفقود كلين . كان الوقت قرب الغروب عندما جاءا له بقميص كلين وبعض متعلقاته ، بالإضافة إلى بعض الصور الفوتوغرافية المأخوذة له . وضع الضابط سويفت هذه الأشياء على مائدة مستطيلة ، وبدأ بيتر يتناولها ويتحسسها بيديه .. واحدة بعد الأخرى ، غارقاً في تركيز عميق ..

آسف .. مات إثنان !

أخيراً ، وبعد فترة طويلة بعض الشيء بالنسبة للذين كانوا

يراقبون بيتر ، تكلم بهدوء ، وهو ما زال ينظر إلى ما بين يديه فقال « مات إثنان .. أنا آسف .. أرجو أن أكون مخطئاً ، لكن هذا هو ما أراه .. لقد غير الطيار اتجاهه نتيجة للعاصفة ، مبتعدا عن خط سيره المرسوم بتسعة أميال .. الطائرة لم تكن جديدة .. إنها طائرة مستعملة أعيد تجديدها .. لقد جرت صيانة شاملة لمحركاتها منذ وقت قريب ..الحقيقة أن المتاعب لم تأت من المحركات ، لقد أتت من الذيل .. كان الضغط على ذيل الطائرة شديداً » ..

كان بيتر يواصل قوله دون أن يرفع نظره الى الموجودين .. لم يكن يهمه أن يرى رد فعل كلماته على من حوله .. لم يكن يعنيه أن يتثبت من صدق ما يقول أو ما يصل اليه .. لم يكن يطلب أي استفسارات أو معلومات عن القضية التي يبحثها . فجأة ، رفع بيتر رأسه متطلعاً اليهم وهو يزيح بيده متعلقات الطيار جانباً ويقول « والآن .. هاتوا الخريطة .. ! .. » . كان الضابط سويفت قد أحضر خريطة كبيرة للمنطقة التي تشمل مسار الطائرة ، فبسطها على المائدة .

تناول بيتر قلم رصاص .. وأخذ يرسم مساراً على الخريطة ، ثم رسم علامة « × » على موقع في فيونكس وهو يقول « من هنا بدأت الرحلة .. وهنا غيرت الطائرة مسارها .. هنا .. عند هذه الجبال .. لقد كان طياراً ماهراً ، رسم طريق طيرانه بعناية .. لكن عندما هبت العاصفة ، أضطر الى تغيير مساره .. إنه يطير فوق أرض منبسطة .. ليست بحيرة ، لكني أرى ماء .. ربما غدير أو جدول .. إن حطام الطائرة يرقد بالقرب من غدير تحت الأشجار وبين الشجيرات .. لهذا لم يكن من السهل الوصول إليها ..

هنا ! .. » ، ورسم علامة « × » كبيرة تشير إلى المكان الذي تحطمت فيه الطائرة ، بينما تدافعت رؤوس الموجودين لتنظر إلى الموقع الذي أشار إليه على الخريطة .

قال أحدهم « هذا الموقع بالقرب من وادي باين .. » ، فقال بيتر « لا أعرف هذا الاسم .. لكنكم ستجدون حطام الطائرة في هذا الموقع وكذلك جثة الطيار وزميله » .

كانت الكاتبة نورما برونتنج حاضرة في هذا اللقاء ، وأثناء عمل بيتر على الخريطة ، لاحظت أنها موضوعة بشكل مقلوب بالنسبة لبيتر ، أسفلها إلى أعلى وأعلاها إلى أسفل ، فهمست في أذنه « بيتر .. هل تعلم أنك تعمل على الخريطة وهي مقلوبة ؟ .. » ، أجاب بيتر « طبعاً .. هكذا أعمل دائماً مع الخرائط .. أنظر إليها وأسفلها أعلاها . وفي بعض الأحيان أعمل عليها ووجهها ناحية المائدة وظهرها ناحيتي ! » . فسألت باصرار « ولكن .. لماذا تعمل على الخريطة وهي مقلوبة هكذا . ؟! » . أجاب « ذلك لأنني أرتبك وتختلط علي الأمور عندما أنظر إلى الخريطة المعدولة وأقرأ الأسماء التي عليها .. وإذا كانت هذه الخرائط عليها أسماء شوارع أو مدن لا أعرفها ، ولم أزرها من قبل ، فإنها لا تهمني ، ولا تعني بالنسبة لي شيئاً .. أنا أتعرف على غايتي عن طريق لمس الخريطة بأطراف أصابعي » .

الجثة الثالثة ..

فما مدى دقة بيتر في تحديده لموقع حطام الطائرة ؟ ..

الحقيقة أنه لم ينجح في تحديد الموضع بدقة ، مائة في المائة .. لكنه كان دقيقاً في تحديده إلى الحد الذي ساعد بعثة إنقاذ أو بحث جديدة على الوصول إلى الطائرة والضحايا على نفس الجبل الذي حدده لهم ..

كان بيتر قد رسم مستطيلاً طوله ستة أميال وعرضه ثلاثة أميال ، يحصر منطقة من الجبال المعروفة باسم مونت لاجونا . ثم رسم علامة « × » في الموقع الذي ظن أنهم سيجدون عنده حطام الطائرة وبداخل ذلك المستطيل . على الفور نقل الضابط سويفت هذه المعلومات إلى فرقة الإنقاذ في سانديبجو ، وتحركت تواً بعثة للبحث ، وقد ركزت عملها على المنطقة التي حددها بيتر . وخلال ساعات قليلة أمكنهم العثور على حطام الطائرة .. على بعد ستة أميال من الموقع الذي كان بيتر قد حدده .

لقد أثبت البحث أن بيتر كان مصيباً ودقيقاً في وصفه لروبرت كلين ولطائرته .. كانت الطائرة مؤجرة ، وكانت قد أجريت صيانة شاملة لمحركاتها حديثاً . وثبت أن كلين غير مساره الأصلي نتيجة للعاصفة ، بالضبط في الموقع الذي حدده بيتر على الخريطة لتغيير المسار . لكنه كان مخطئاً في تحديده لعدد الأشخاص الذين كانوا في الطائرة ، فهو قد « رأى » بعقله شخصين فقط ، وليس ثلاثة .

والغريب في الأمر أنه عند العثور على حطام الطائرة ، وجد أعلى الجبل جثتين فقط ، أما الجثة الثالثة للطالب الذي تحت التدريب ، فقد وجدت محشورة داخل هيكل الطائرة .

تقول نورما إن الضابط بيتر سويفت وزميله كين ليستر أبديا إعجاباً كبيراً بقدرة بيتر هوركوس وحماساً شديداً لجهده في هذه القضية

ذلك الجهد الذي ساعدهما فعلاً في العثور على الطائرة المفقودة ، إلى حد أنهما راحا يبحثان عن الأعذار للخطأ الذي ارتكبه بيتر بشأن عدد الأشخاص الذين كانوا في الطائرة فيقول سويفت في تفسيره لعدم « رؤية » بيتر للجثة الثالثة ، إنها كانت محشورة في حطام الطائرة ، إلى حد أن فرقة الإنقاذ كادت ألا تنتبه لوجودها .

عند انتهاء العمل في هذه القضية ، سألت نورما بروننج الضابط سويفت الذي كان لا يؤمن بالقدرات الخارقة للعقل البشري ، إذا ما كان اقتنع بما لدى بيتر من قدرات عقلية متميزة وغير عادية ، فأجاب « ليس لدي خيار آخر .. لقد قدم إلينا الكثير من الحقائق الصحيحة ، التي ساعدتنا في بحثنا والتي لا يمكن تكذيبها » .

النبوءة أم اللوحة

في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ ، ظهرت جريدة « ديزرت صن » التي تصدر في بالم سبرنجز وهي تحكي عن اكتشاف هيكل عظمي ، أو بقايا هيكل عظمي ، في الجزء العلوي من منطقة تاكويتز كانيون . قالت الجريدة إن الاعتقاد السائد هو أن ذلك الهيكل العظمي لشخص يدعى ستيفن جاللاجر من لونج بيتش ، كان قد اختفى عام ١٩٦٧ . وكان جاللاجر قد انتهى لتوه من الخدمة العسكرية في السلاح الجوي ، وآخر ما عرف عنه ، أنه شوهد عارياً بالقرب من الشلالات العليا في ٢٩ يناير ١٩٦٧ .

أضافت جريدة « ديزرت صن » قائلة « .. وكان صاحب الجلاء البصري المشهود له بيتر هوركوس أثناء إقامته ببالم سبرنجز في ديسمبر

الماضي ، قد أشار إلى أنه يرى بقايا جاللاجر بالقرب من الشلالات العليا ، كما كان قد حدد البقعة التي يعتقد أن بقايا الهيكل ستوجد بها عندما تم العثور على بقايا الهيكل العظمي ، وجدت على بعد ثلاثة أرباع الميل من النقطة التي كان بيتر هوركوس قد حددها .. » .

تقول نورما برونج « أتذكر جيداً ذلك اليوم الذي صمم فيه بيتر على تسلق أعلى مرتفعات أخدود تاكويتز ، رغم احتجاجي الشديد . لم تكن له أية مصلحة في أن يخاطر بدق عنقه بين تلك الجبال القاسية . كان الوقت شتاء ، وكان بيتر يعاني من آلام في حوضه ، وهو قد انتهى بالكاد من تقديم خدماته في كشف لغز الطائرة المفقودة » .

« شعرت أن في ذلك الكفاية ، وأن عليه أن يستريح . كما سألته خطيبته ستيفاني أن يصرف النظر عن هذه المغامرة ، لكنه صمم على رأيه . وبقينا أنا وخطيبته في حالة متصلة من القلق طوال اليوم حتى عاد من الجبل ، أحسست بارتياح لعودته سالماً من هذه المغامرة ، حتى أنني لم أكلف خاطري بسؤاله عن تفاصيل القضية التي كان يسعى إلى حلها . كل ما عرفته في ذلك الحين أن الرحلة لها صلة بإنسان مفقود ، وأنه كان مع رجال الشرطة يحدد لهم المكان الذي سيجدون فيه الجثمان » .

لم تعط نورما أي اهتمام لهذه القضية ، وكانت في الواقع قد نسيت كل شيء عنها ، حتى قرأت القصة المنشورة في جريدة « ديزرت صن » ، فتذكرت ، كان بيتر في ذلك الوقت يقيم في لوس أنجيلوس ، فاتصلت نورما به تليفونياً ، وقرأت له ما جاء بالجريدة ، وهي تظن أنه سيسر عندما يعلم أن تنبؤه كان صحيحاً ..

قال لها بعد أن قرأت له بعض ما جاء بالجريدة « نعم .. هذا هو ما قلته .. إذن فقد وجدوا الجثمان .. » ثم قال فجأة بحماس متخلياً عن فتوره السابق « ولكن أرجوك يا عزيزتي .. هل أطمع في أن تصنعي معي معروفاً ؟ . بأن تتصلي برئيس مركز الشرطة عندكم ، وتسأليه إذا ما كان قد تسلم اللوحة التي رسمتها وأرسلتها إليه .. » ..

وقد اندهشت نورما لاستجابته هذه .. فسألته عن موضوع لوحته هذه التي يتحدث عنها بحماس أكثر من حماسه لصدق تنبئه في قضية الرجل المفقود .

ضحايا عقار الهلوسة .. !

تحدث بيتر عن اللوحة التي رسمها خصيصاً لرئيس الشرطة ، وكيف أنه أرسلها له عن طريق صديق ، وأنه لم يصله ما يفيد تسلم رئيس الشرطة لها .

عندما اتصلت نورما برئيس الشرطة روبرت وايت ، ونقلت إليه رسالة بيتر ، أفاد أنه قد تسلم اللوحة ، وأنها جميلة جداً ، ثم بدأ الضابط وايت متطوعاً ، يتحدث بانبهار عن بيتر هوركوس ، وعن كشفه الهام في هذه القضية .

قال الضابط وايت « لقد وجدنا بقايا الهيكل العظمي ، بالضبط حيث قال لنا بيتر إننا سنجده » .. وعلى عكس بيتر ، كان حماس الضابط للحديث عن بقايا الجثمان المفقود أكثر من حماسه للحديث عن اللوحة التي رسمها له هوركوس وأرسلها هدية له ، وكان هذا أقرب إلى المنطق ،

فإن بقايا الهيكل العظمي كانت قد اكتشفت قبل هذه المكالمة بيومين . بل لقد أبدى الضابط رغبة ملحة في الحديث عن بيتر هوركوس نفسه وقدراته العقلية الخارقة .

راح الضابط وايت يحكي قصة لقائه الأول بهوركوس ، بعد أن انتهى بيتر من حل لغز الطائرة المفقودة الذي كان يتولاه من الشرطة ، صديقه ، الضابط سويفت . قال وايت « كنت سمعت الكثير عن هوركوس ، وكنت متشوقاً للقائه . عندما وصل في زيارة لمكتبي ، سأل إذا ما كان لدينا من القضايا ما هو معقد أو غامض لا نجد له حلاً .. قلت له لدينا العديد . ثم سألت الضابط هاريس أن يأتي لنا بملفات القضايا الغامضة التي لم ننجح في كشفها أو الوصول إلى نتيجة ما عنها » .

يقول وايت « عندما وصلت الملفات ، وضع هوركوس يده على الملف الأعلى وهو ما زال مغلقاً . وكان ذلك ملف قضية جاللاجر ، ثم راح بيتر يذكر لنا حرفياً ما جاء في تقرير الشرطة عن هذا الموضوع ، وكان التقرير ضمن أوراق الملف » .

يحكي وايت عما فعله بيتر في ذلك اللقاء فيستطرد « قال بيتر إنها قضية فتى مفقود . وذكر أسماء الأشخاص الثلاثة الذين كانت لهم صلة بالقضية .. كما حدد نوع السيارة التي كانوا يقودونها . تحدث عن حفل صغير . وعن كميات كبيرة من المواد المخدرة التي استخدمت . كان في كل ما قاله مصيباً ، فالفتيان كانوا قد تعاطوا عقار « ل . س . د . » المعروف باسم عقار الهلوسة . بل لقد وصف بيتر هوركوس المنطقة التي شوهد فيها الفتى آخر مرة .. قال إنه يرى الصبي عارياً .. ثم عاد وقال

إنه يراه قبل هذا يرتدي زياً عسكرياً .. وبالفعل كان الفتى يؤدي خدمته العسكرية في السلاح الجوي ، ثم أنهى خدمته وجرى تسريحه » ..

ثم تكلم وايت عن اصطحابهم لبيتر هوركوس في محاولة لتحديد البقعة التي أشار إليها ، عندما قال إنها بعيدة وتملؤها الصخور القاسية . وكانت دهشة رجال الشرطة كبيرة ، عندما توقف بيتر عن السير بين الصخور ، وأشار إلى حجر منبسط وهو يقول « هنا عثرتم على ملابس الفتى المفقود ! .. » .

قال وايت لنورما بحماس « لا يمكن أن تتصوري غرابة ما قاله بيتر ، إلا إذا عرفت طبيعة المنطقة التي أتحدث عنها .. آلاف الصخور والأحجار المتشابهة .. ومع هذا فقد توجه بيتر مباشرة إلى الحجر المعين الذي وجدنا عنده فعلاً ملابس الفتى منذ عام مضى ! .. »

أشار بيتر إلى منطقة أخرى بالقرب من الشلالات العليا ، قائلاً لوايت إنهم سيجدون الجثة هناك تحت صخرة من الصخور ، وجانب منها مدلى في الماء لكن ، في ذلك الوقت من السنة ، كان من الصعب ، بل ومن الخطر ، الاقتراب من تلك البقعة التي أشار إليها بيتر ، فقد كان الجليد يغطي تلك الصخور الزلقة ، فلا تبين معالمها .

يقول وايت « لكننا بعد ذلك تلقينا بلاغاً من اثنين من الرحالة الذين كانوا يتسلقون هذه المنطقة الوعرة ، حيث ذكرا أنهما وجدا بقايا هيكل عظمي موزعة على مدى ١٥ قدماً . على الفور تحركت إحدى طائرات الهليكوبتر التابعة للشرطة متجهة إلى ذلك الموقع المعروف باسم « الأثر المفقود » في أخدود تاكويتز على حدود بالم سبرنجز ، حيث وجدت بقايا

الجثمان في نفس الظروف والمواصفات التي حددها بيتر من قبل ! » .

وقد قال رئيس الشرطة في ختام حديثه « لست أعلم شيئاً عن هذا الذي يتمتع به بيتر هوركوس .. لكن الذي أعلمه جيداً ، أن كشوفه ورؤاه في هذه القضية بهرت كل من شاركه في هذا العمل . كيف كان بإمكانه أن يسرد لنا محتويات الملف دون أن يفض غلافه ؟ .. أليس هذا مدعاة للتأمل والتفكير ؟ لقد عملت لمدة ٢٢ سنة كرجل شرطة ، ومرت علي كل ضروب الظواهر ، لكني لم أشهد شيئاً كهذا من قبل .. لم ألتق أبداً بمثل هذا الرجل .. بيتر هوركوس » ..

* * *

غير أن القضية التي أكسبت بيتر هوركوس أوسع شهرة ، وحظيت بأكبر اهتمام من وسائل الإعلام ، قضية سفاح بوستون الشهيرة التي ثارت عام ١٩٦٤ ، والتي استوحاها الممثل المعروف توني كيرتس في دور السفاح الذي قام به في أحد أفلامه ..

سَفَّاحُ بُوسْتون .. عَدُوّ النِّسَاء

لعل أشهر القضايا التي شارك فيها بيتر هوركوس بشكل ملفت ، قضية سفاح بوستون ، التي جرت أحداثها في بداية عام ١٩٦٤ ، وشغلت الرأي العام الأمريكي طويلاً ، وبقيت حتى يومنا هذا مثار خلاف شديد بين المختصين حول شخص السفاح الحقيقي ، هل هو ألبرت دي سالفو الذي اعترف على يد الشرطة ، أم هو الشخص الآخر الذي اعتادت وسائل الإعلام أن تطلق عليه الاسم المستعار توماس أوبرين .. والذي يؤكد بيتر أنه السفاح الحقيقي ؟ .

لقد عمل بيتر هوركوس لفترة محدودة كمستشار لمنتج الفيلم الذي قدمته هوليود تحت اسم (سفاح بوستون) .. وقام فيه توني كيرتس بدور السفاح ، وأخرجه واحد من أكبر مخرجي هوليود ريتشار فلتشر .

يحكي المخرج فلتشر عما جرى له مع بيتر هوركوس عندما دعاه إلى حفل ساهر كان يقيمه للعاملين في الفيلم . كما يجري الأمر عادة في مثل هذه الأحوال ، أخذ الموجودون يسألون بيتر هوركوس بعض الأسئلة التي يهمهم الوصول إلى إجابات عنها . كان معظمهم يقوم بهذا على سبيل المزاح ، لأنهم لم يكونوا مقتنعين بقصة القدرات الخارقة للعقل البشري .

أثناء هذا استدار بيتر ناحية السيدة ماري ربة البيت وزوجة المخرج فلتشر ، وسألها « ما هو تاريخ ميلادك ؟ .. » . بوغتت ماري بهذا السؤال فقالت « الحقيقة ، هناك شيء من الخلط حول التاريخ الحقيقي لميلادي وأنا حتى الآن لا أعلم التاريخ الحقيقي بالتحديد ، وهو بين أن يكون ١٩ يوليو أو ٢٢ يوليو .. عائلتي لا تعلم بالضبط ، وأنا أحاول حالياً أن أحصل من السجلات الرسمية بمونتريال على تاريخ الميلاد الحقيقي .. »

كانت ماري قد ولدت من أبوين كاثوليكيين في مونتريال ، وقد نشأت مشكلة تاريخ ميلاد الإبنة من الاختلاف بين السجلات الدينية والطبية ، ولم تستطع عائلة ماري أن تحدد أي اليومين هو تاريخ ميلادها الفعلي . قالت ماري لبيتر « على كل حال لن يخرج التاريخ الصحيح عن ١٩ أو ٢٢ يوليو » . فعلق بيتر قائلاً بحسم « أنت مخطئة يا سيدتي .. فتاريخ ميلادك الحقيقي هو ٢٤ يوليو ! . » .

ضحك الجميع من كلمات بيتر ، ولم يولوا الأمر أهمية تذكر . وبعد مرور سنة على ذلك الحفل حصل المخرج على نسخة رسمية من شهادة الميلاد وصلته من كندا .. وكان بيتر محقاً ! .. فقد كان تاريخ ميلاد ماري المدون بها هو ٢٤ يوليو ! ..

في ذلك الحفل ، كان من بين المدعوين أحد كبار المنتجين في هوليود ميلتون سبيرلنج ، التفت إليه بيتر فجأة وهو يقول « لديك ساعة مستديرة عقاربها تسبق الوقت الحقيقي بعشرين دقيقة .. لماذا تتركها هكذا ؟! » .

ضحك سبيرلنج ، ساخراً من قول بيتر ، لكنه أخرج مفكرته وقلمه

وهو يقول «على كل حال سأسجل هذا ، لأتذكر مراجعة الساعات التي في بيتي .. » انتهى الحفل في منتصف الليل ، وفي الساعة الثالثة صباحاً استيقظ فلتشر على رنين التليفون ، وكان سبيرلنج على الخط يقول مندفعاً « صاحبك بيتر هوركوس هذا كاذب .. » . سأل فلتشر « لماذا ؟ .. » ، فقال سبيرلنج محتداً « إنها ليست ساعة ، ولكنه منبه .. كما أن عقاربه تسبق الوقت الصحيح بثماني عشرة دقيقة فقط ! .. » .

لقد انشغل سبيرلنج عند عودته إلى بيته بعد انتهاء الحفل بمراجعة جميع ساعات الحائط والمنبهات وساعات اليد التي في بيته ، فوجد ذلك المنبه على (التسريحة) ، وقد تقدمت عقاربه ١٨ دقيقة عن الوقت الصحيح .. قد تتساءل ، ما قيمة هذه الموهبة التي يتمتع بها بيتر هوركوس ، إذا كانت ستسهل له معرفة مثل هذه المعلومات التافهة ؟ .. لكن هذه المعلومات التي تبدو تافهة تصبح ذات دلالة إذا ما أضيفت إلى تلك المعلومات التي استطاع بيتر التوصل إليها أثناء عمله لكشف غموض قضية سفاح بوستون ..

الشخص الخطأ !

سألت الكاتبة نورما برووننج المخرج فلتشر عن رأيه في قيمة الجهد الذي قام به بيتر في هذه القضية ، فقال « مدهش .. مدهش للغاية .. المشكلة الوحيدة أنه مصمم على اختيار الشخص الخطأ ! » .

فحتى يومنا هذا ، يصر بيتر على أن ألبرت دي سالفو ليس هو السفاح الحقيقي ، رغم أنه اعترف بارتكابه لجميع الجرائم الوحشية . وكان

إصراره هذا ، هو الذي جعل عمر عمله قصيراً كمستشار لهيئة إنتاج الفيلم الذي جرى إنتاجه عن السفاح . ويقول بيتر اليوم « لقد صرفوا الملايين على إنتاج ذلك الفيلم .. ولكنهم رسموا قصتهم على أساس الشخص الخطأ » ..

لم يعر العاملون بالفيلم اعتراضات بيتر أي اهتمام . كانوا قد اشتروا حق إنتاج كتاب (سفاح بوستون) لمؤلفه جيرالد فرانك ، الذي أقام كتابه على أساس أن دي سالفو هو السفاح . لقد أورد فرانك في كتابه أوجه الشبه الشديد في شكل وظروف وملابسات كل من دي سالفو ، والمتهم الآخر الذي صمم بيتر على اختياره ، والذي أطلق عليه المؤلف اسماً مستعاراً هو توماس أوبرين . لقد حاولوا إقناع بيتر بمواصلة العمل في الفيلم ، على الأقل على أساس هذا التشابه ، لكنه كان دائماً يقول محتداً « لا .. أنا لا أرى هذا التشابه .. المسؤول عن هذه الجرائم هو الرجل الذي أشرت إليه .. ودي سالفو هذا ليس هو القاتل .. » . وبهذا انتهى عمل بيتر هوركوس كمستشار لهيئة إنتاج فيلم سفاح بوستون .

وتحكي الكاتبة نورما برونتج قصة عثورها على التسجيل الكامل لجهد بيتر هوركوس في هذه القضية . فتقول إنها طلبت من بيتر أن يمدها بأي مذكرات أو مستندات تتصل بقضية سفاح بوستون تكون في حوزته ، فقال إن صديقه جيم كرين الذي سافر معه إلى بوستون ليرافقه ويعمه كحارس شخصي له أثناء عمله في هذه القضية ، سجل جهده في القضيه على شرائط التسجيل . وإن هذه الشرائط موجودة لدى الممثل توني كيرتس ، الذي كان قد استعارها ليدرس من واقعها شخصية السفاح

الذي سيلعب دوره في الفيلم .

لكن توني كيرتس كان في ذلك الوقت قد تزوج من زوجته الثالثة ، وسافر معها إلى أوروبا لتمضية شهر العسل . وكان على بيتر أن يعثر على مكان هذه الشرائط داخل قصر توني كيرتس المنيف في هوليود . ، والذي لم يكن قد دخله من قبل .

فقد قال العاملون بالقصر إنهم على استعداد لتسليم بيتر شرائطه ، لكنهم لا يعلمون شيئاً عن مكانها ، وهم على استعداد لفتح كافة الأبواب أمامه ليبحث عن شرائطه بنفسه .. دخل بيتر قاعة المكتبة في أول الأمر ، ثم تطلع حوله وقال على الفور « كتب كثيرة جداً .. لا .. الشرائط ليست في هذه الحجرة .. » . ومضى بيتر داخل القصر يتشمم طريقه كما تفعل كلاب الصيد ، واتجه مباشرة إلى حجرة النوم ، ومد يده إلى أحد أدراج (الكومودينو) .. وفتحه ، ثم أخرج منه الظرف الكبير الذي يحتوي الشرائط قائلاً بانتصار « ها هو ! » .

فماذا وجدت نورما في هذه الشرائط التي تسجل وقائع عمل بيتر هوركوس في هذه القضية ساعة بساعة ويوماً بيوم ؟ ..

الضحية رقم ١١ للسفاح !

الثابت أن فترة عمل بيتر هوركوس في قضية سفاح بوستون لم تتجاوز ستة أيام . وأنه فقد أكثر من ستة كيلوجرامات من وزنه خلال هذه الايام الستة ! .. وأنه لم يسترد هذه الكيلوجرامات الناقصة من وزنه إلا بعد عدة شهور .

من واقع هذه الشرائط ، تتجسد فظاعة الجرائم التي ارتكبها ذلك السفاح ، المختل عقلياً ، المهووس جنسياً ، الذى كان يعتدي اعتداء شرساً على ضحاياه من النساء ثم يتركهن في أوضاع خادشه للحياء ، كما لو كان يحرص على المزيد من إهانتهن ..

عندما استدعي بيتر للعمل في هذه القضية ، كان السفاح قد قضى على الضحية رقم ١١ من ضحاياه . وكانت الضحية هذه المرة ، هي ماري سوليفان التي لم يتجاوز عمرها ١٩ ربيعاً .. وما فعله السفاح مع ماري سوليفان يحمل في ثناياه إجمالاً لكل الفظائع التي كان قد قام بها في جرائمه العشر السابقة . مما دفع النائب العام للولاية الى التدخل ، وتولى الإشراف على التحقيقات والتحريات بنفسه .. عن الواقعة الأخيرة وعن الوقائع العشر التي سبقتها . مما أثار ضيق رجال شرطة بوستون الذين كانوا يتولون هذه القضية .

كان النائب العام للولاية في ذلك الوقت هو ادوارد بروك أول زنجي يصل إلى هذا المنصب . وقد بدأ بأن شكل مكتباً خاصاً لتولي هذه القضية أوكل رئاسته إلى وكيل النائب العام جون بوتوملي .. وانشغل بروك وبوتوملي بجمع كافة الحقائق التي تتصل بحوادث القتل التي قام بها السفاح ، مهما كانت تبدو تافهة أو جانبية أو غير مفيدة .

وحتى الآن ، لا يعرف من الذي تكفل بمساهمة بيتر هوركوس في هذ القضية . كل ما هو معروف أن العرض جاء من طرف رجل من رجال الصناعة ببوستون ، وأن ذلك الرجل الثري أصر على أن يظل اسمه مجهولاً . وكان الرجل قد تعهد بتغطية كافة النفقات التي ستترتب على استقدام بيتر

من هوليود .. السفر والانتقال والاقامة ، كما قيل إنه رصد مبلغاً يزيد على ألف دولار كمكافأة لبيتر عن جهوده ، لكن الثابت من المستندات أن بيتر لم تصله أي مكافأة عن عمله في هذه القضية .

كان من الطبيعي أن يتردد بروك وبوتوملي في قبول فكرة اشتراك واحد من أصحاب القدرات العقلية الخارقه للمساهمة في كشف شخص السفاح . لكن الأمر الواقع فرض نفسه في النهاية . حقيقة قد يوجه اليهما بعض النقد بالنسبة لهذا التصرف ، لكنهما على كل حال لن يخسرا شيئاً ، فالدولة لن تتكلف دولاراً واحداً نتيجه لهذه المساهمة .

مع جلين فورد !

كان بيتر يجلس مع الممثل المعروف جلين فورد في بيته المقام بمنطقة بيفرلي هيلز الفاخرة الشهيرة عندما تلقى المكالمة التي كانت بداية صلته بالقضية .

كان البرنامج التليفزيوني التسجيلي (خطوة الى الأمام) قد خصص إحدى حلقاته لبيتر هوركوس ، وموهبته الغريبة . كما قد تقرر إنتاج فيلم سينمائي حول شخصيتة وموهبته ، على أن يلعب جلين فورد دور بيتر هوركوس في الفيلم . ووقتها كان بيتر يوزع إقامته بين ميامي وهوليود ، وقد بدأ يفكر جدياً في الانتقال الى هوليود نهائياً ، كما كان في نفس الوقت يتخذ الاجراءات للانفصال عن زوجته الثانية .. ويبدو أن مواهبه الخارقة لم تفده كثيراً في تأمين حياته الزوجية ونجاحها ! .

وسط كل هذا ، وسط أحلام العمل في التليفزيون والسينما ، وسط

المشاغل العملية والعائلية ، تردد بيتر في قبول فكرة الانسحاب من هذا كله ، والسفر للعمل والمساهمه في قضية سفاح بوستون .

يحكي بيتر عن هذا فيقول « لم أكن راغباً في قبول هذه القضية ، لكن ذلك الرجل المدعو بوتوملي دأب على الاتصال بي تليفونياً ، راجياً السفر اليهم ، ومساعدتهم في كشف ألغاز القضية . قال إن جميع المصاريف الخاصة قد تكفل بها بعض الناس .. لم أكن أحب أن أسافر الى بوستون .. كان لدي شعور خفي بأني سأواجه بعض المتاعب في هذه القضية .. لا أدري لماذا كنت متردداً في قبول العمل في قضية سفاح بوستون . غير أن جميع الأصدقاء الذين استشرتهم في هذا ، أجمعوا على ضرورة سفري .. إن لم يكن لشيء فللاعتبارات الإنسانية .. وقد جاء صديقي جيم كرين وعرض أن يسافر معي إلى بوستون على نفقته الخاصة ، حتى يتولى حمايتي في تلك المدينة التي لا أعرف فيها أحداً .. ! » .

قبل أن يتخذ بيتر قراره النهائي في هذا الموضوع ، ذهب لاستشارة صديقته تراسي ، التي كانت هي الأخرى تتمتع بقدرات عقلية خارقة .

عندما علمت الكاتبة نورما برووننج بهذا ثارت دهشتها الشديدة ، وتساءلت بكثير من الشك إذا ما كان بيتر جاداً في هذا . فقال لها بيتر بجدية تامة « أنا أفعل هذا دائماً .. أستشير تراسي قبل الاقدام على أي عمل كبير .. لقد ذكرت لها فقط انني سأسافر في مهمة ، هل أذهب أم لا ؟ .. فقالت لي : نعم ، ان مهمتك لها صلة بطقس بارد .. وجرائم قتل كثيرة .. ستمر عليك أوقات صعبة ، لكنك ستخرج منها سليماً .. »

سألته نورما باندهاش « أنا لا أصدق هذا ! أنت تستشير شخصاً آخر

من أصحاب القدرات العقلية الخارقة مع كل ما تتمتع به من هذه القدرات ! .. لماذا ؟ ! » . أجاب بهدوء «دعيني أشرح لك أننا أصحاب القدرات العقلية الخاصة ، نذهب عادة لمن هم مثلنا بحثاً عن المشورة تماماً كما يذهب الطبيب الى زميل من الاطباء عندما يشكو من مرض .. فأنا لا أستفيد من موهبتي هذه في شأن من شؤوني الشخصية ، لذلك ألجأ إلى تراسي كلما شرعت في كشف أسرار جريمة من الجرائم ، حتى أتأكد من أن ضرراً ما لن يصيبني .. »

من المسائل التي أكد عليها بوتوملي عندما عرف بقبول بيتر هوركوس للمهمة ، أن أوصاه بعدم الهبوط بطائرته في مطار بوستون .. وأن يلجأ إلى استخدام أي مطار قريب ، حتى لا يلفت نظر رجال الاعلام .

الهبوط السري !

وفقاً لتعليمات مكتب النائب العام ، هبطت الطائرة التي يستقلها بيتر هوركوس وزميله وحارسه جيم كرين في مطار يبعد ٥٠ ميلاً عن بوستون ، في الثامنة من يوم ٢٩ يناير ١٩٦٤ . وكان في استقبالهما جون بوتوملي وكيل النائب العام والضابط ليو مارتن . وجرى نقل بيتر وصاحبه إلى الفندق القريب الذي سجلا فيه تحت إسمين مستعارين ، وذلك ضمن إجراءات أخرى اتخذها مكتب النائب العام لتعمية رجال الاعلام ، والحيلولة بينهم وبين الاتصال ببيتر .

ومن مكتب النائب العام ، اختير جوليان سوشتيك لمرافقة بيتر يوماً بيوم وساعة بساعة طوال عمله في هذه القضية . كما سمح مكتب النائب العام

لصديق بيتر وراعيه دكتور أندريا بوهاريش بالبقاء معه .

في عصر اليوم الأول لعمل بيتر في القضية ، أحضر له سوشنيك في جناحه بالفندق صندوقين كبيرين بهما بعض الأشياء التي استخدمها السفاح في جرائمه .. جوارب نايلون ، وأوشحة من الحرير ، ثم حوالى ٣٠٠ صورة من الصور التي التقطها رجال الشرطة لكل ضحية من ضحايا السفاح . وكانت الصور الخاصة بكل ضحية موضوعة في غلاف خاص مقـوى .

أخرج سوشنيك الصور ، ووضعها في أكوام فوق السرير بالحجرة ووجهها الى أسفل . مدّ بيتر يده يتحسس هذه المجموعات ، ثم توقف فجأة وهو يصيح غاضباً « هذا تزييف وتهريج ! . هذه الصورة ليس لها صلة بالموضوع ! . »

وكان محقاً في هذا ! ! ..

اعترف سوشنيك على الفور أنه تعمد إقحام هذه الصورة على باقي الصور كاختبار لقدرة بيتر على كشف هذا .. كانت الصورة لامرأة قتيلة ، في جريمة أخرى تم كشف أسرارها والقبض على القاتل الذي ارتكبها ..

لكن بيتر لم يستطع أن يتقبل هذه المحاولة ، وصاح « تريد أن تنصب لي فخاً ؟ .. أطير كل هذه المسافات لأساعدك ، ثم تظن أن بيتر هوركوس نصاب ؟ ! .. على كل حال سأريك .. » ومرر أصبعه على ظهر صورة مقلوبة لا يرى أحد ما بها ثم قال « هل ترى هذه الصورة ؟ . هذه صورة إمرأة قتيل ترتمي على الأرض وقد تباعد ما بين ساقيها .. سأريك كيف .

ارتمى بيتر على الأرض ، واستدار حتى أصبح مستلقياً على ظهره

مباعداً ما بين ساقيه ، مميلاً رأسه إلى ناحية ، وقد رسم على وجهه تكشيرة خفيفة ، مقلداً بالضبط وضع المرأة القتيل التي تظهر في الصورة المشار إليها .

كانت هذه هي البداية ، وبعدها بدأ بيتر يتكلم عن الصور المقلوبة التي يراها بعقله ، ويعطي من المعلومات عن أصحابها ما أثار دهشة الموجودين ..

في مساء ذلك اليوم ، وصل أحد الضباط العاملين في القضية الى حجرة بيتر في الفندق ، وبدأ يعتذر لزملائه عن وصوله متأخراً عن موعده ثلاثة أرباع الساعة ، قائلاً إن سيارته تعطلت في الطريق ، كما أن المرور كان مرتبكاً بشكل غير طبيعي .

لم يكن بيتر قد قابل ذلك الضابط من قبل ، لكنه استدار فجأة ليواجهه ، وقال بصوت أميل إلى الخشونة «أنت لا تقول الصدق . أنت لم تتأخر نتيجة لتعطل سيارتك أو لازدحام المرور . السبب الحقيقي هو أنك توقفت في طريقك عند شقة حبيبتك وأمضيت معها لحظات مسروقة سريعة من المتعة .. أليس كذلك يا سيدي ؟! ..»

احمر وجه الضابط المسكين ، بينما فغر باقي الضباط أفواههم اندهاشاً ، عندما واصل بيتر كلامه ، فوصف محتويات شقة حبيبة الضابط التي كان عندها . ولما أفاق الضابط من دهشته وخجله ، قال مغتاظاً « نعم أنت على حق .. ما قلته هو الحقيقة .. لكن .. لكن كيف عرفت هذا كله ؟ ! » ثم نظر الى الضباط زملائه وقال « هل كان هذا الرجل معكم طوال الوقت ؟ .. هل أنتم متأكدون من أنه لم يكن يلاحقني؟! »

خريطة ومشط للبحث عن السفاح .. !

عندما عرضت على بيتر صور المشتبه فيهم ، وكانت عديدة ، قال إن صورة السفاح ليست بين هذه الصور ، وإن صورتين منها لمتهمين في جريمتي اغتصاب ، وإن واحدة منها لقاتل ، لكنهم جميعاً ليست لهم صلة بأي جريمة من الجرائم المنسوبة للسفاح الذي يبحثون عنه . وقد كان هذا مثار اندهاش كبير بين ضباط الشرطة ، فقد كان ما قاله صحيحاً إلى أبعد حد ..

وهكذا بدأوا يثقون في قدراته ، ويتخلصون من شكوكهم فيه . وذات لحظة ، توقف بيتر عن تأمله ، وقال «إني محتاج إلى خريطة للمدينة .. أحضروا لي خريطة وسأدلكم على المكان الذي يعيش فيه السفاح .. !!»

أسرع أحد الحاضرين فأتى بخريطة كبيرة لمدينة بوستون . وكعادة بيتر طلب منهم أن يضعوا الخريطة بحيث يكون وجهها إلى أسفل ، قائلاً للموجودين «لا أريد أن أرى الشوارع .. وأسماء الأحياء .. إذا رأيت الخريطة بكل ما عليها من تفاصيل فإن هذا سيربكني .. والآن .. أحضروا لي شيئاً من متعلقات الضحايا .. !»

قدم إليه أحدهم مشطاً لواحدة من ضحايا السفاح ، فراح بيتر يمرر أسنان المشط على الخريطة المقلوبة ، وراح يدفع المشط إلى أعلى وإلى أسفل ، حتى توقف عند نقطة معينة على ظهر الخريطة وهو يقول بانفعال «هنا .. هنا ستجدون السفاح ، إنه يبدو في هيئة الوعاظ .. ويرتدي ملابس الوعاظ .. إنه يتكلم الإنجليزية بلكنة فرنسية .. إن صوته أشبه

بصوت البنات ، إنه يتكلم هكذا .. » ثم أصدر بيتر صوتاً نسائياً مصطنعاً . وكانت المنطقة التي حددها بيتر على الخريطة هي منطقة نيوتن ـ بوستون .

أثناء عمل بيتر على الخريطة تلبدت معالم وجهه فجأة وهو يقول بانفعال « عليه اللعنة هذا الفتى .. هذا الكلب الفاسد .. إنه منحرف جنسياً » .. ودفع الخريطة جانباً وهو ينهض متحركاً في الحجرة وهو يقلد حركات ومشية الشواذ جنسياً .. ثم قال وهو ينظر إلى الضباط من حوله « سأتوقف الآن .. إنني متعب للغاية .. » .

كان العرق يتصبب منه غزيراً وقد تلاحقت أنفاسه ، فهبط على أحد المقاعد الوثيرة ، وتناول السيجار الذي قدمه له صديقه جيم كرين .. بينما وقف رجال الشرطة في مكانهم لا ينطقون .

لكن هذا لم يكن سوى البداية .. فقد استطاع بيتر هوركوس بعد ذلك أن يصل إلى أدق التفاصيل حول شكل السفاح وعاداته وطريقة معيشته .

اللّقاءُ المثير
بينَ هوركوس وسفّاح بوسْتون

في اليوم التالي لوصول بيتر هوركوس ، كان هو وصديقه الذي أصر على مرافقته في هذه المهمة ، جيم كرين ، ينتظران في مكتب وكيل النائب العام بوتوملي . قبل وصول بوتوملي دخل الرقيب ليو مارتن ، وسلم بيتر خطاباً مطوياً وهو يقول له «ماذا ترى في هذا يا سيدي ؟ .» . بدلاً من فتح الورقة وقراءة الخطاب ، قبض بيتر على الورقة بين أصابعه ، وأغلق عينيه ، وغرق في حالة من التركيز العميق . وقد تصبب العرق غزيراً على وجهه .. ثم صاح فجأة «يا لله .. هذا هو الكلب الذي فعلها .. السفاح .. الرجل الذي نسعى للقبض عليه ..» .

فما قصة هذا الخطاب ؟

وصل هذا الخطاب إلى مديرة كلية بوستون للتمريض ، من شخص يرمز إليه جميع الذين كتبوا عن قصة سفاح بوستون باسم توماس أوبرين ، وهو اسم مستعار اصطلح الجميع على إطلاقه على ذلك الشخص . ومرجع ذلك إلى أن ذلك الشخص لم تثبت عليه التهمة أو يحقق معه رسمياً ، ولهذا فذكر اسمه الحقيقي قد يؤدي إلى مشاكل قضائية ودعاوى بالتعويض . المهم ، لنتفق على أن اسم ذلك الرجل هو توماس أوبرين . وأنه هو الذي أرسل الخطاب المشار إليه ، وقد كتب في الطرف الأعلى الأيمن

للخطاب العجيب عنوانه . ذلك العنوان الذي يقع في إطار المنطقة التي حددها بيتر على الخريطة باستخدام المشط . ولعل هذا هو الذي جعل الشرطة تهتم بهذا الخطاب الغريب الذي وصلها من مديرة كلية بوستون للتمريض .. فماذا جاء في ذلك الخطاب ؟

سيدتي ..

عندي مشكلة ربما رسمت الابتسامة على شفتيك عندما تقرئين عنها ، لكني توجهت إليك معتقداً أن بإمكانك مساعدتي . بعد فشلي في الدراسة ، جربت العمل كبائع جوال ، وما زلت حتى اليوم أعمل في هذا المجال . لقد حاولت طويلاً أن أحصل على وظيفة رسام للرسوم الكوميدية « استربس » التي تظهر في الجرائد والمجلات ، ومع فشلي في ذلك ، فما زلت أحاول .

سبب كتابة هذا الآن ، هو رغبتي في إخبارك بأنني غير متزوج ، وتمنيت دائماً أن أقابل ممرضة كاثوليكية طيبة ، تكون قد أنهت دراستها في كلية التمريض ضمن دفعة عام ١٩٥٠ . على أن يكون عملها في مدينة بوستون ، أو في مكان قريب منها .

وأنا لدي فكرة كتابة تحقيق صحفي عن كليتكم ، وهكذا يتاح لي أن أجري الأحاديث مع أكبر عدد ممكن من الممرضات ، وبهذا أتعرف على وجهات نظرهن وخبراتهن ، سواء في الدراسة التي تلقينها أو في العمل الذي يقمن به . وقد يحدث أثناء إجراء هذه الأحاديث ، أن ألتقي بالممرضة التي أحوز إعجابها وتحوز إعجابي . فإذا حدث هذا ،

يمكن أن تنشأ بيننا صداقة تمتد إلى أن تقود إلى علاقة أعمق .

وإذا حدث ، بشكل أو بآخر ، أن بعض خريجات ١٩٥٠ كن مطابقات لمواصفاتي ، أو كن يرين أنني مطابق لمواصفاتهن .. إذا حدث هذا ، فربما تكون هناك وسيلة لمقابلتهن غير تلك التي كنت قد اقترحتها .

سأكون سعيداً إذا ما تمكنت من زيارتك شخصياً في الكلية ، إذا اتفق هذا مع رغبتك . على أي الأحوال ، يهمني أن أسمع منك . إذا ما أردت الاتصال بي ، فليكن ذلك عن طريق دكتور ريتشارد رايت ١١٩٠ شارع بيكون ، بروكلين .. لقد عرفني لعدة سنوات ..

مع أفضل تحياتي ..

توماس أوبرين

« الاسم المستعار »

عيون القتلة والصوت المخنث !

مع غرابة الخطاب ، أرسلت مديرة كلية بوستون للتمريض ذلك الخطاب المريب إلى الشرطة ، التي نقلته بدورها إلى وكيل النائب العام بوتوملي . عندما اتصل بوتوملي بالدكتور رايت تليفونياً ، قال الطبيب إنه يعرف الرجل فعلاً لبعض الوقت ، وإن لأوبرين هذا تاريخاً طويلاً في المرض العقلي ، وإنه في حوالي الخمسين من عمره .

هكذا دخل أوبرين دائرة المشتبه فيهم ، في عملية البحث عن السفاح . وخاصة بعد أن « قرأ » بيتر هوركوس الخطاب ، دون أن ينظر إليه ، وقال إن صاحبه هو السفاح .

فماذا قال بيتر أيضاً في وصف ورسم شخصية السفاح ، من واقع الصور الفوتوغرافية للضحايا وبعض متعلقاتهن وملابسهن الشخصية ؟

لقد قدم بيتر وصفاً تفصيلياً دقيقاً للسفاح من حيث الشكل والطباع والسكن الذي يقيم فيه والعادات التي يلتزمها ، وطريقته في النطق ، وطبيعة صوته . وعندما حدثت المواجهة بين الشرطة وهذا الرجل ثبت أن كل ما حدده بيتر كان صحيحاً إلى أبعد حد ، بل إن بعض المعلومات التي توصل إليها بيتر من خلال تحسسه للصور والمتعلقات ، قد أدهشت السفاح نفسه عندما ووجه بها ، ذلك لأن لا أحد غيره يعرفها ! ..

سبق أن أشرنا إلى أن زميل بيتر وصاحبه جيم كرين حرص على تسجيل كل ما قاله بيتر أثناء عمله في هذه القضية . ومن واقع هذه التسجيلات نرى فيض المعلومات التي مد بها بيتر هوركوس رجال الشرطة من خلال صور الضحايا ومتعلقاتهن الشخصية .. معلومات تتصل بالضحايا أنفسهن ، وتفاصيل الطريقة التي قتلت بها كل واحدة منهن . بل إن بعض هذه المعلومات كان خافياً على الجميع فيما عدا رجال الشرطة ، والجهات الطبية التي تولت تشريح الجثث .

قال بيتر في وصف السفاح « إنه ليس كبيراً في الحجم ، طوله يصل إلى حوالى ١٧٠ سم ، خط شعره ينحسر متراجعاً على جبينه . توجد علامة أو بقعة على ذراعه اليسرى ، مع عيب في إبهامه . يتكلم بلكنة غريبة .. لكنة فرنسية .. له صلة بالمستشفيات .. إنه شاذ جنسياً وكاره للنساء .. يلتذ بإراقة الدماء وبغسل يديه فيها . حرفته ليست حرفة نمطية أو عادية .. وهو نفسه ليس عادياً .. عيناه زرقاوان تميلان إلى اللون

الرمادي ، كعيني القتلة .. شعره خفيف ، وله أنف حاد مدبب ، وتفاحة آدم كبيرة في رقبته . » .

تعلق الكاتبة نورما بروننج التي أصدرت كتاباً عن بيتر أنها عندما اطلعت بعد ذلك على الصور الفوتوغرافية التي التقطت للرجل الذي نسميه توماس أوبرين ، والمعلومات التي سجلها رجال الشرطة على ظهر الصورة ، وجدت أن بيتر كان مصيباً في كل ما قاله عنه من معلومات استمدها من صور الضحايا وملابسهن ، فيما عدا الخطأ الوحيد الذي يتصل بعمر السفاح . لقد قال بيتر إنه في حوالى الثانية والخمسين من العمر ، بينما كان الرجل في السابعة والخمسين .

ينام على الدبابيس ..

ماذا يقول جيم كرين في تسجيلاته هذه ؟

« قال بيتر إن الرجل مصاب بتيبس في إبهامه ، وبندبة على ذراعه اليسرى . وقال إن القاتل يضع نظارة على عينيه ، لكنه لا يستخدمها كثيراً .. وقال بيتر إن الرجل يعلم بينه وبين نفسه أن الشرطة ستصل إليه وتقبض عليه . لكنه لا يستطيع أن يتوقف عن القتل .. يعيش بالقرب من مدرسة لتخريج القساوسة الكاثوليكيين ، وله صلة بالرهبان .. براهب سمين يضع نظارة على عينيه .. وأنه فصل من عمله أكثر من مرة لشذوذه الجنسي .. » .

تقول تسجيلات كرين « شرح بيتر رؤيته للسفاح ، فقال إنه مثقف حصل على قدر لا بأس به من التعليم .. وإنه يعيش أو كان يعيش في

منطقة من المناطق الفقيرة التي يوزع فيها الحساء مجاناً ، وأنه يتردد على الأبرشية لكنه رجل خطير . يحب رؤية النساء عاريات وقد تباعدت سيقانهن . ويقول بيتر إن ذلك الرجل يقتل متصوراً أنه يقدم قرباناً إلى الله ، وهو يقتل النساء حتى يقدمهن نظيفات أمام الله . وإنه لا يتصل بالنساء جنسياً . والنساء اللائي يقتلهن لا يعتدي جنسياً عليهن ، لكنه يشبع رغبته الجنسية بطريقة شاذة خاصة به .. » .

وعن العادات الشاذة للسفاح جاء في التسجيلات « يقول بيتر إن السفاح ينام بملابسه ، وإنه في بعض الأحيان يرفع الحشية عن السرير . وينام على « سوستة » السرير المعدنية .. إنه يسعى بذلك إلى تعذيب نفسه . إنه يؤمن بأن الله يريد منه ذلك . في بعض الأحيان ينام عارياً على الدبابيس .. دبابيس ليست مسننة .. لكن على نوع من المعدن يسبب له الآلام . إنه يفعل ذلك للتكفير عن جرائم القتل التي يرتكبها . وفي الأيام التي لا يرتكب فيها أي جرائم ينام على السرير وفوقه الحشية » .

« يقول بيتر إنه يرى الآن القاتل وهو يفتح أدراجاً بحجرة نومه ، وأن هذه الأدراج مملوءة بالأحذية . كما يرى حقيبة سفر ببدروم المنزل الذي يسكنه السفاح مملوءة بالأحذية .. ويوضح بيتر أن الأحذية التي في حجرته هي التي يمر بها على البيوت ، من منزل إلى منزل ، محاولاً بيعها للنساء . وأن الأحذية التي في البدروم هي أحذية الضحايا من النساء اللائي يقتلهن . وأن السبب الذي يدفعه إلى خلع أحذية الضحايا هو اعتقاده أن الله لا يمكن أن يقبلهن وهن يرتدين الأحذية . ذلك لأن السيد

المسيح لم يكن يرتدي حذاء . وقال بيتر إن الرجل تخصص في بيع الأحذية للممرضات » .

أصوات بيتر أثناء نومه

كان من عادة بيتر أن يتكلم وهو نائم ، خصوصاً في أعقاب يوم متعب مجهد ، أو عندما يكون واقعاً تحت تأثير توتر عصبي شديد نتيجة لاستغراقه في بعض الشؤون ، كما حدث أثناء عمله في الكشف عن شخص سفاح بوستون . ومن واقع تسجيلات جيم كرين ، تعرف أن بيتر توصل إلى الكثير من المعلومات حول أوبرين ، أثناء استغراقه في النوم .

كان كرين يشارك بيتر حجرة نومه في فندق باتل جرين ، وكان يترك جهاز التسجيل دائراً أثناء نوم بيتر حتى يسجل كل ما يقوله . بالطبع كان بعض ما يقوله غير واضح المعالم ، والبعض الآخر لم يكن من الممكن تفسيره لاختلاط الأصوات . ذلك لأن بيتر هوركوس أثناء نومه كان يتكلم بصوتين ، صوته الأصلي الثقيل بلكنته الهولندية القوية وصوت السفاح الحاد الأنثوي المخنث ، بالإضافة إلى اختلاط الصوتين بأصوات تقلب بيتر على السرير أثناء تكلمه .

عندما أبلغ جيم كرين ممثل مكتب النائب العام جوليان سوشنيك مسألة تكلم بيتر أثناء نومه ، وذكره لمعلومات مفيدة عن السفاح ، جاء سوشنيك مع ثلاثة من رجال الشرطة إلى حجرة بيتر وبقوا بها طوال الليل ليسمعوا بأنفسهم ما يقوله بيتر أثناء نومه .

وقد جاء في أحد تقارير جيم كرين عن هذه الظاهرة ما يلي :

« الساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف ليل الثالث من فبراير ١٩٦٤ ، بيتر يتكلم أثناء نومه ويقول : «هالو .. هالو أيها المهندس ، و٢٠ د . ك .. و٢٠ د . ك .. و٢٠ د . ك .. صوفيا مورتيكا .. صوفيا مورتيكا .. صوفيا .. » .

كانت الفتاة الزنجية صوفيا كلارك واحدة من ضحايا السفاح . وعند الرجوع إلى مدارس برليتز حول اللغة التي تكلم بها بيتر أثناء نومه ، تبين أنها البرتغالية . ومن المعروف أن بيتر يتكلم خمس لغات ، لكن ليس من بينها البرتغالية . وقد ظهر أخيراً أن صوفيا كلارك كانت نصف زنجية ، وأن والدها كان برتغالياً . كما توصلت الشرطة إلى أن محطة اللاسلكي التي تتخذ لها رمز الاتصال و٢٠ . د . ك ، كانت مملوكة لابن عم صوفيا كلارك ! ..

هأنا أخلع الحذاء ..

نعود إلى تسجيلات جيم كرين فنجد « في تمام الساعة ٣,٢٤ بعد منتصف الليل ، بدا بيتر منفعلاً للغاية وهو نائم . وكان يقول : اقتلوا ذلك اللقيط ! . رفع بيتر قبضة يده وشد عليها بعنف وهو يلوح بها حتى شحبت مفاصل يده ، ثم لكم بقبضته حاجز السرير خلف رأسه حتى خيل إلي أن قبضته قد تحطمت . الآن استراحت قبضته وهو يقول : أنت يا صاحب العينين الزرقاوين يا عفن .. أخرج من عقلي وإلا فسأقتلك .. » .

في الرابعة إلا الربع نهض بيتر من سريره ومضى إلى الحمام ، وعندما عاد سأله جيم كرين إذا ما كان بخير ، فرد إيجاباً ، لكنه عاد ليسأل كرين لماذا تولدت داخله هذه القدرة الخاصة ؟ .. ولماذا لا يستطيع أن يخرج القاتل من عقله ؟ . قال إنه لا يستطيع أن ينام . وعندما يذهب إلى سريره يحلم بأشياء غريبة لا يستطيع فهمها . وقد بذل كرين غاية جهده في تهدئة بيتر لكن يبدو أن جهوده لم تكلل بالنجاح . فقد نهض بيتر من سريره وأخذ يذرع الحجرة لأكثر من عشر دقائق ، ودخن سيجارتين . كان يبدو عليه التعب الشديد ، لكنه اقتنع آخر الأمر بضرورة العودة إلى سريره ومحاولة النوم .. بعد ذلك وأثناء نومه تحول صوته إلى ذلك الصوت الأنثوي ، وأجرى حواراً مع القاتل ، كان يتكلم مع السفاح بصوته الطبيعي ، وينطق إجابات السفاح بصوته المصطنع ..

جاء في تسجيلات كرين « دار بينهما الحوار التالي . قال القاتل : هأنا أخلع عنهن أحذيتهن .. ها هي الجثة ، أنا أخلع الحذاء ، وأعري البدن من الملابس .. أوه . إنني أذهب إلى الكنيسة .. أنا من رواد الكنيسة ولا أفعل عملاً آثماً .. أفعالي كلها طيبة ، وأنا أغسل يدي في دورة المياه . ثم يأتي الصوت الطبيعي لبيتر وهو مفعم بالغضب والتقزز : أتظن هذه مياه مقدسة ؟ .. أنت مجنون ! ..

حكى بيتر هوركوس لنورما برونتج عن المعاناة التي لاقاها في هذه القضية ، وعن الطريقة التي كان يحصل بها على المعلومات معتمداً على قدراته العقلية الخاصة .

كم هو قوي ؟ ..

يقول بيتر هوركوس « معظم ما توصلت إليه من معلومات رأيته أثناء نومي ، لكني اعتمدت كثيراً على صور الضحايا وملابسهن الخاصة . لقد عشت جرائم السفاح واحدة واحدة . عشتها من خلال عقله هو . ذلك العقل الذي يضطرم بالمشاعر الحادة . لعل هذا هو السبب فيما أصابني من أرق .. نعم ، كنت أتكلم أثناء نومي ، وكان ذلك يحدث فقط عندما يبلغ بي التعب والإجهاد مداه . كان رجال الشرطة يقولون لي : بيتر .. لماذا لا تذهب لتنام . فكنت أقول لهم : لا أستطيع أن أذهب إلى سريري ، طالما أنني لا أستطيع النوم .. لكني كنت في نهاية الأمر أسقط نائماً .. وتبدأ الأحلام وتصدر مني الكلمات أثناء نومي .. »

يواصل بيتر روايته فيقول « في الليلة الأولى نمت مع صور الضحايا . وفي الليلة الثانية نمت مع صورهن وبعض ملابسهن .. وقد أوصلني هذا إلى مفتاح الجريمة . عندما نمت مع قميص إحدى الضحايا وتنورة ضحية أخرى ، استطعت أن أرى القاتل ، وأن أصفه ، وتكلمت بهذا الوصف أثناء نومي . كنت أثناء نومي أسمع صوتين ، صوتي ، وصوت القاتل ، كان غضبي يصل إلى مداه .. كنت أشعر برغبة شديدة في قتله ! » .

أثناء نوم بيتر ، تكلم واصفاً الحجرة التي يعيش فيها القاتل ، والطريقة التي ينام بها « على السوستة ودون مرتبة » ، والأهم بالنسبة للشرطة ، ما ذكره من أنهم سيجدون في حجرة القاتل مفكرة ، كتب فيها ما يثبت أنه السفاح . عن هذا يقول بيتر « أثناء نومي ، ومن خلال أحلامي ، أرى

المفكرة ، وأرى خط يده فيها . لقد تضمنت المفكرة كل شيء ، كيف تتحقق متعته بالجرائم التي يرتكبها ، كيف تسمح له النساء بالدخول إلى بيوتهن ، وكيف كن ينظرن إليه باعتباره مجرد رجل لطيف يبيع لهن الأحذية في منازلهن . كيف كان يبدأ بأن يقول للضحية : « دعينا نرى إذا ما كان هذا المقاس يناسبك .. ثم ينقض عليها ، وغالباً من الخلف . وبعد أن تنتهي جريمته يقف مناجياً الله ، قائلاً كم هو قوي .. لأنه لا يقرب ضحاياه أو يتصل بهن جنسياً .. » .

الاستحمام بالحذاء ..

شيئاً فشيئاً بدأت المعلومات تتكامل لدى مكتب النائب العام ، سواء عن طريق هوركوس ، أو عن طريق التحريات التي كان رجال الشرطة يقومون بها . وقد أصبح رجال الشرطة على مدى الأيام أكثر ضيقاً بالمنافسة التي يواجههم بها بيتر ، وبفيض المعلومات الذي يقدمه يوماً بعد يوم . نتيجة لهذه المعلومات المتجمعة ، لم يكن أمام جون بوتوملي وجوليان سوشنيك سوى أن ينظما زيارة لحجرة أوبرين ، تقوم بها الشرطة ويرافقهم فيها بيتر هوركوس .

كان بيتر قد وصف لهم بدقة ، المنطقة التي يوجد بها السفاح ، والمنزل الذي يسكنه ، والحجرة التي يعيش فيها . قال لهم إنهم سيجدون بالحجرة سريراً صغيراً ، وأكواماً من الكتب يعلوها التراب ، وحوضاً لغسيل الوجه . فالحجرة ليس بها حمام أو دورة مياه ، والسفاح يستحم في الطابق السفلي ، ويذهب إلى دورة المياه التي به . بل قال لهم بيتر إن السفاح

يقف دائماً تحت « الدش » وقد ارتدى الحذاء . ! قال لهم عن هذا « اسألوا صاحبة البيت .. وستؤكد لكم كلامي » ..

أكد بيتر للشرطة أن السفاح لن يواجههم بالعنف عندما يقبلون للقبض عليه « فهو يعلم أنه سيقع في يد الشرطة . واقع الأمر أنه يريد أن يقع في يد الشرطة ، لكنه أيضاً يريد أن يقتل مرة أخرى » . ومن ناحية أخرى حذر رجال الشرطة بيتر هوركوس من أن يمد يده إلى السفاح أو يعتدي عليه . في هذا يقول « قالوا لي إنني قوي ، وإنهم يخشون أن أعتدي عليه نتيجة لاحتقاري الشديد له .. وقالوا إنه إذا كان هو القاتل فإنه سينال الجزاء المناسب عن طريق العدالة ، وإنهم لا يريدون أي انتقام شخصي ، فوعدتهم بعدم المساس به » .

اللقاء الأول مع السفاح

صباح اليوم التالي توجه الجميع للبحث عن أوبرين . وبينما هم في الطريق ، والسيارة تقطع شوارع المنطقة ، ظل بيتر يتحدث طوال الوقت عن عيني القاتل « للقاتل عينان غريبتان .. عينا سفاح » . وعندما وصلوا إلى العنوان ، وجدوا المنزل عتيقاً متداعياً . كانت حجرة أوبرين في الدور الثالث . قرع أحد رجال الشرطة الباب . بعد قليل انفرج الباب انفراجاً طفيفاً ، لا يزيد على عدة سنتيمترات ، وظهر من فتحة الباب وجه رجل نحيف ، في أواسط العمر ، حاد الانف ، تبرز تفاحة آدم في رقبته بشكل ملفت ، وأخذت العينان الزرقاوان تحدقان في الزوار ! !

تساءل الرجل بصوت مخنث « نعم ؟ » . .

تحول وجه بيتر إلى اللون الرمادي الشاحب ، وتلاحقت أنفاسه من فرط الانفعال .

قال الضابط « يا سيد أوبرين ، لقد كنت كتبت خطاباً إلى كلية بوستون لل ... » ، فقاطعه الرجل قائلاً بحدة : « لا أريد أن أرى أحداً » ، ثم صفق الباب في وجوههم ، وسمعوا صوت الكرسي الذي وضعه خلف مقبض الباب حتى لا يسمح لأحد بفتحه .

يحكي بيتر عن لقائه الأول بالسفاح فيقول « وهكذا ذهبت مع الشرطة إلى حجرته ، وعندما سمع رجال الشرطة صوت السفاح ، قالوا وقد أصيبوا بالذعر : يالله .. هذا هو الصوت الذي تتكلم به وأنت نائم . فقلت لهم : نعم .. إنه الرجل المطلوب ، هذا هو صوت القاتل صاحب العينين الزرقاوين . كم كنت أود أن أضع يدي على ذلك الملعون ، لكنه أغلق الباب في وجوهنا . قلت لرجال الشرطة : بحق المسيح .. أخرجوه من هذه الحجرة وضعوه في أحد المستشفيات ، وتأكدوا أنه سيعترف بجرائمه ! ! » .

بعد عشرين دقيقة من هذا ، كان الجميع في مكتب بوتوملي يناقشون كيفية تدبير استجواب أوبرين . فالقرائن المتوفرة لم تكن تكفي للقبض عليه . لكن وفقاً للقانون ، يمكن للطبيب أن يأمر بوضع شخص ما في مؤسسة علاج عقلي لمدة عشرة أيام ليكون تحت الملاحظة ، إذا كانت ملابسات الموقف تستوجب ذلك .

تم ترتيب الأمر على هذه الصورة ، وحصل سوشنيك على إذن بتفتيش حجرة أوبرين للبحث عن أي أدلة قد تفيد في إدانته .

وفي الصباح المبكر من اليوم التالي ، تحركت حملة من رجال الشرطة على رأسها سوشنيك شخصياً ، وكان الطبيب برفقتهم .. فماذا كان في انتظارهم ؟! .

السّفـّاح يَقول لبِـيتر :
كُنت في انتِظـارك

كانت لحظات ترقب حافلة بالإثارة تلك التي عاشها بيتر هوركوس قبل أن يتخذ رجال الشرطة اجراءاتهم للقبض على توماس أوبرين ، الذي كان يؤمن أنه سفاح بوستون . وأخيراً صدر الإذن الرسمي بتفتيش منزل أوبرين وقاد الحملة ممثل مكتب النائب العام بنفسه ، مصطحباً معه الطبيب الذي سيوكل إليه تحديد حالة أوبرين العقلية والعصبية . وقد طلبوا من بيتر هوركوس أن يقف على مبعدة حتى تنتهي الحملة من اصطحاب أوبرين خارج المنزل بسلام ، لإيداعه مستشفى الأمراض العقلية .. وقد وعدوا بيتر بدخول الحجرة بعد ذلك . واحتاط مكتب النائب العام بهذا الإجراء ، خوفاً من أن يفقد بيتر هوركوس أعصابه عند مواجهة السفاح ، فيعتدي عليه بدنياً .

طرقوا باب حجرة أوبرين . فتح أوبرين الباب . قام سوشنيك من مكتب النائب العام بتقديم نفسه ومن معه رسمياً ، فقال « أنا من مكتب النائب العام ، وهؤلاء السادة من ضباط الشرطة . وهذا طبيب . هل يمكننا أن ندخل ؟ .. » .

قال أوبرين « نعم .. بالطبع » . ثم قال بنبرة صوته الحادة « أنا سعيد لأنكم جئتم أخيراً .. » . ساعتها تذكر سوشنيك السفاح الآخر

الشهير الذي عرف باسم سفاح أحمر الشفاه الذي ارتكب جرائمه في شيكاغو عام ١٩٤٠ . فقد كتب السفاح على حوائط حجرة واحدة من ضحاياه بأصبع أحمر الشفاه « بحق السماء اقبضوا علي قبل أن أرتكب المزيد من الجرائم .. لا أستطيع أن أتحكم في أفعالي .. » .

تطلع سوشنيك من حوله في أنحاء الحجرة الصغيرة المشوشة ، فوجدها كما سبق لبيتر أن وصفها .. صناديق كرتونية ، أكوام الكتب ، النشرات ، القصاصات .. وفي ناحية من الحجرة السرير الصغير الذي ينام عليه أوبرين بلا حشية .. فوق الزنبرك المعدني للسرير .

تساءل سوشنيك : هذا الرجل الضئيل الضعيف الذي يقف أمامنا الآن .. أيمكن أن يكون هو السفاح الذي ارتكب كل هذه الجرائم البشعة ؟ ! ..

كان قليل الحجم ، هزيلاً ، لا يتجاوز وزنه ٦٠ كيلو ، ويصل طوله إلى ١٧٠ سم بالضبط كما قال بيتر من قبل ، في منتصف الخمسينات ، مخنث في حركاته ، يقف وقد مال إلى جانب ، يفرك كفيه في عصبية . كلما زاد تطلع رجال الشرطة وتفرسهم في أوبرين ، اهتزت أعصابهم ، وهم يلاحظون أنفه الحاد الدقيق ، والندبة التي على ذراعه الأيسر ، والتشويه الذي بإبهام يده اليمنى .. بالضبط كما وصفه بيتر قبل أن يراه ! ..

لقد كان بيتر مصيباً في كل دقيقة من دقائق وصفه للسفاح . لذا فلم يكن أمام رجال الشرطة إلا أن يؤمنوا بأن ذلك الرجل الهولندي صاحب القدرة العقلية الخارقة ، قد قادهم إلى السفاح الذي طال بحثهم عنه .

طال استجواب الطبيب لأوبرين ، واعترف أنه ذهب ذات مرة إلى طبيب عقلي ، وأنه يصاب بحالات متكررة من فقدان الذاكرة . هكذا وقع الطبيب المرافق للحملة على أوراق إيداع أوبرين المستشفى وهو مستريح الضمير . وبعد قليل كان أوبرين في طريقه إلى مركز الصحة العقلية بماساشوستس بصحبة الطبيب ، بينما بقي رجال الشرطة ينقبون بفضول شديد بين الأكوام المختلطة التي تشغل الحجرة .

حياتي .. مجزرة !

عندما تلقى بيتر الإشارة المتفق عليها ، لحق برجال الشرطة في حجرة أوبرين . اندفع بيتر إلى داخل الحجرة ، وأخذ يحبو في أنحاء الحجرة على ركبتيه وقد ساده انفعال شديد ، مختطفاً الأوراق والنشرات من وسط الأكوام المتراكمة ، فماذا وجدوا في حجرة أوبرين ؟ ..

وجدوا المفكرة الخاصة بأوبرين ، التي كشفوا ما بها من معلومات عن شذوذه الجنسي ونزواته .. وجدوا نشرة من النشرات التي تشرح اليوجا وممارساتها ، وبها رسوم تشرح الأوضاع المختلفة تؤديها نساء ، وقد جرى تلطيخ ١١ رسماً منها بالحبر الشيني .. وجدوا درجاً مليئاً بأوشحة رجال ، وربطات عنق مربوطة بأناقة ، ومفكرة أخرى مرسوم فيها بعض الرسوم التخطيطية لعمارة سكنية .

كما قرأوا في المفكرة بخط يد الرجل « شكراً لك يا إلهي .. لأني أنام على معدن السرير .. والشكر لك لأنني لم أعد أشعر بآلام قدمي .. ولأنني أستحم تحت الدش وأنا أرتدي حذائي » .

قالت صاحبة البيت الذي يسكنه أوبرين للمحققين ، إنها لا تعلم الكثير عن الرجل ، فيما عدا أنه لا يستعمل حشية فوق السرير ، وأنه يقف تحت الدش وقد ارتدى الحذاء .. الأمر الذي أثار دهشتها .

لقد كشفت الملاحظات التي دونها أوبرين في مفكرته عن الكثير من جوانب حياته . حاول منذ عشرين سنة أن يصبح راهباً ، لكنه فشل في ذلك . لقد جرب العديد من الأعمال الواحد بعد الآخر ، لكنه لم يكن يبقى في أعمال أفضل من غسل الأطباق ، والعمل في محلات تنظيف الملابس وقد مارس بيع الأحذية لبعض الوقت ، وعن هذا كتب يقول « لا أستطيع أن أحتفظ بوظيفة ما طويلاً .. حياتي عبارة عن مجزرة » .

لقد اعترف أوبرين في مفكرته بدوافعه الشاذة ، وصراعه من أجل التحكم في « أعماله غير السوية » ، ومحاولتـه « للسيطرة على الطبيعة البشرية ». واعترف في مذكراته أن الآخرين يصفونه بأنه « مجنون .. ومقزز .. ورجل مخنث .. » . كما قال إن الطبيب نصحه بأن يخضع نفسه « لعلاج عصبي » .. ويقول إنه تراجع عن ذلك عندما علم أن هذا يعني العلاج بالصدمات ..

قبل أن يصحب الشرطة بيتر هوركوس لمواجهة أوبرين في المستشفى العقلي ، عمدوا مرة أخرى إلى انتزاع وعد منه بأنه سيتحكم في أعصابه ، ولا يمد يده إلى القاتل صاحب العيون الزرقاء ! . لقد كانوا فعلاً في حالة من القلق نتيجة لانفعال بيتر كلما جاء ذكر السفاح .. لقد رأوا قتال بيتر مع الرجل في أحلامه ، ولقد قدموا بيتر إلى أوبرين باعتباره أحد لأطباء الذين جاءوا لفحصه ..

كنت في انتظارك .. !

يحكي بيتر عن هذه الواقعة فيقول « كنت هادئاً للغاية .. كنت أضع كفي على كتفه عندما أوجه إليه أسئلتي .. وكان هو الآخر هادئاً للغاية » رفع أوبرين بصره إلى بيتر قائلاً « كنت في انتظارك ! » فقال بيتر « أعلم هذا » ، ثم نظر بيتر إلى المحققين وهو يقول « هل يمكن أن ألقي نظرة على ملفه ؟ » . سلموه الملف . مد بيتر يده داخل الملف ، وأخذ يخرج منه صور ضحايا السفاح ببطء واحدة بعد الأخرى ، وهو يهزها في وجه أوبرين قائلاً « لقد أتيت فعلاً شنيعاً للغاية .. » . أجاب أوبرين « نعم .. لا بد أنني فعلت أشياء سيئة جداً .. سيئة جداً .. » ، ثم استطرد وقد ظهرت عليه معالم الإعياء « لكني لا أذكرها » ..

قال بيتر « تذكر .. ألا تذكر كيف كنت تبيع الأحذية للنساء .. لقد كنت لا تطيق أن ترى سيدة وقد ضمت ساقاً إلى ساق .. أتذكر كيف كنت عندئذ تصاب بنوبة هياج ، وتشعر برغبة في القتل .. أليس هذا ضد إرادة الله ؟ » . لم يجب أوبرين ، فاستطرد بيتر «أنت تعلم أنه لا جدوى من الإنكار .. فلقد حصلنا على مفكرتك .. » .

هنا ، قام أحد رجال مكتب النائب العام بإظهار المفكرة وهو يقول لأوبرين « هل هذا خط يدك ؟ » أجاب أوبرين بصوت يحمل في طياته الفكاك من عبء ثقيل « نعم .. هذا هو خط يدي .. » . ومع هذا أثار الكثير مما في هذه المفكرة اندهاش وحيرة أوبرين ، وإن كان قد عاد وأكد أن الملاحظات بخط يده . لكن عندما وصل الأمر إلى الاعتراف بجرائم القتل التي قام بها ، كان يقفز إلى حالة من فقدان الذاكرة

وعندما كانت تعرض عليه صور الضحايا وبعض فقرات من مذكراته كان يقول « نعم .. لا بد انني فعلت شيئاً سيئاً للغاية .. » ، ثم كان يعود ليقول « لا أستطيع أن أتذكر .. » .

لكنه عاد وتذكر أنه أمضى ليلة مع واحدة من الضحايا تدعى ماري سوليفان ، لكنه صمم على أن زميلة لماري وصديقة ثالثة شاركتاهما الحجرة . قال إن زميلة ماري « كانت متعبة وذهبت لتنام .. » . قال هذا ، لكن ما أن وصل الحديث إلى التفاصيل ، التي قادت إلى أنه بقي منفرداً بماري ، حتى حل به اضطراب وخوف شديدان .

عند أول دخول الحملة عليه ، سأله الطبيب المرافق « لماذا تنام على معدن السرير دون حشية ؟ » فسأله أوبرين بذهول « كيف عرفت هذا ؟! » ، ثم تأوه بطريقة نسائية وهو يقول « نعم ، لقد فعلت شيئاً سيئاً .. كنت أفكر في أنني يجب أن أبقى في حجرتي .. لم أكن أرغب في الخروج منها .. لم أكن أحب أن أعود إلى ذلك المكان الآخر .. » .

عندما انتهت التحقيقات الرسمية مع أوبرين .. استطاع أن يهرب من مواجهة مصيره كسفاح بأن طلب هو شخصياً أن يقيم في مستشفى الأمراض العقلية للعلاج ! .

فبعد أن انتهت الأيام العشرة التي كان على أوبرين أن يمضيها في المستشفى بأمر النائب العام ، أوصى الأطباء ببقائه ٣٥ يوماً أخرى تحت الملاحظة . وعندما انتهت هذه الفترة ، تطوع أوبرين بأن طلب البقاء في مستشفى الأمراض العقلية ، قائلاً إنه يحتاج إلى بعض الراحة . قال إنه لا يرغب في البقاء مع أسرته أو مع أصدقائه « بالرغم من أن أحداً لم

يعرف له أسرة أو أصدقاء » . لم يكن يطلب سوى أن يبقى في المستشفى . وما زال هناك ، حتى يومنا هذا ! .

المشتبهان في حجرة واحدة !

انتهى عمل بيتر هوركوس في هذه القضية ، فغادر بوستون طائراً إلى نيويورك ، وهو ما زال يؤكد أنه قد وضع يده على سفاح بوستون الحقيقي . حتى عندما قبضت الشرطة على المدعو دي سالفو ، واعترف بارتكابه الجرائم المنسوبة إلى السفاح ، قال بيتر « أعلم تماماً أن دي سالفو ليس هو الرجل المنشود .. ! » .

سألته الكاتبة نورما برونِنج « هل حدث أن قابلت دي سالفو ؟ .. » ، أجاب « لا .. لم يحدث أبداً .. لقد التقطوه بعد شهر من انتهاء عملي في القضية .. لقد كان يزامل أوبرين في حجرته بمستشفى الأمراض العقلية » . سألت نورما باندهاش شديد ، وكانت تسمع هذا لأول مرة « كـان ماذا ؟! .. » ، قال « نعم .. لقد كانا يقيمان في نفس الحجرة بمستشفى الأمراض العقلية .. وهذه هي الطريقة التي عرف بها دي سالفو كل التفاصيل التي ضمنها اعترافه بارتكاب الجرائم .. » .

لكن يبقى هذا السؤال ..

لماذا يسعى أحد ما للاعتراف بهذه الجرائم الوحشية البشعة ؟ .

نفس التساؤل الذي قمنا به في القضية المعروفة باسم جريمة جاكسون ، والتي ذكرنا تفاصيل عمل بيتر هوركوس فيها .

إذا اعتمدنا على أقوال دي سالفو نفسه ، فهو قد اعترف في واحد

من تصريحاته أنه استمتع بالدعاية التي توفرت له عندما اعترف
السفاح . ومع هذا ، فإنه عندما حوكم دي سالفو كان ذلك لتهم أ
ثابتة عليه ، وليس على الجرائم المنسوبة إلى سفاح بوستون ، الأمر
سنتعرض له فيما بعد . ولكن من المفيد الآن أن نذكر واقعة تكشف
الصراعات الدفينة التي أحاطت بهذه القضية ، والتي كانت ته
صراعاً سياسياً بين الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي ، لا
لجرائم السفاح بصلة ما .

القبض على هوركوس .. !

في الثالثة والنصف من مساء الثامن من فبراير ، وبعد ٧٢ ساعة
من مغادرة بيتر هوركوس لبوستون ، ألقي القبض عليه بعد أن
إيقاظه من النوم ، بحجرته في الفندق الذي يقيم فيه بنيويورك .
وجهت إليه تهمة ادعاء شخصية أحد رجال المباحث الفيدرالية

قفز الخبر إلى مانشيتات الصحف على اتساع الولايات المت
الأمريكية . وكان من الواضح أن هذه المؤامرة الصغيرة ، لا تسته
بيتر هوركوس نفسه ، بقدر ما كانت موجهة إلى النائب العام الذي
اشتراك بيتر هوركوس في حل غوامض هذه القضية .

اعتمد الاتهام الملفق على واقعة جرت قبل هذا التاريخ بشهرين
ندما كان بيتر يتزود بوقود سيارته في ضاحية من ضواحي ميلواكي
لضبط في العاشر من ديسمبر ١٩٦٣ . أنكر بيتر التهمة بشدة

إن الأمر كله لا يخرج عن كونه سوء تفاهم ، نتيجة لنطقه الإنجليزي المشوب بلكنة هولندية قوية ..

لقد بلغ وقع هذا الاتهام مداه عند بوتوملي وسوشنيك من مكتب النائب العام . لقد فهما بوضوح أن حركة القبض على بيتر في ذلك الوقت بالذات ، هي حركة انقضاض من جانب شرطة بوستون على النائب العام الذي قبل استدعاء بيتر للمشاركة في القضية ، أو هي مؤامرة صغيرة من بعض الجهات السياسية .

قال البعض إن رجال الحزب الديمقراطي المحليين ، قد رسموا هذه الخطة للنيل من النائب العام بروك الذي ينتمي إلى الحزب الجمهوري ، وقبل معركة إعادة انتخابه . كما قال البعض إن أسرة كنيدي هي التي وراء هذا كله ، رغبة في وضع أحد أعوانهم في منصب حاكم ولاية ماساشوستس في القريب . ولما كان سيصعب عليهم إزاحة النائب العام الزنجي ادوارد بروك بكل شعبيته بعد أن يصل رجلهم إلى منصب حاكم الولاية ، فقد رتبوا هذه المؤامرة حتى يتخلصوا من النائب العام الجمهوري قبل ذلك .

لقد حفلت الصحف طوال هذه الفترة بالاتهامات والاتهامات المضادة . ومن بين ما نشر تساؤل من جانب بوتوملي ، حول السبب في أن رجال المباحث الفيدرالية لم يخطروه بنية القبض على هوركوس . وتساءل عن السبب في أن يتم القبض عليه في هذا الوقت بالذات ، قال « عندما اعتزمنا الاتصال ببيتر هوركوس ، اقتضى منا الأمر ما لا يزيد عن ساعتين ، لنجده في منزل أحد الممثلين بكاليفورنيا .. ومع هذا فقد استغرق

بحث رجال المباحث الفيدرالية عنه حوالى شهرين ! .. »

وقد نشرت الصحف أن الخطة الموضوعة ، كانت تقضي في أول الأمر بالقبض على بيتر وهو في مكتب النائب العام ، حتى يبدو الحدث مسرحياً ، وأكثر تأثيراً .. لكن أصحاب هذه الخطة ، عادوا وتراجعوا عن هذا ، باعتباره تجاوزاً للحدود .

لا تخف .. أنا مع الشرطة ..

ومع هذا ، وربما بسببه ، فإن بيتر هوركوس عومل معاملة رقيقة . لم توضع القيود الحديدية في يديه ، وجرى نقله في سيارة خاصة وليس في سيارة الشرطة . كما عرضوا عليه تقديم كل ما يرغب فيه من طعام ، طوال الساعات التسع التي قضاها مقبوضاً عليه ، وقبل الإفراج عنه .

لكن ما هي حقيقة هذه القصة التي قام عليها هذا الاتهام ؟ ..

القصة باختصار أن بيتر هوركوس في ذلك اليوم ، مر بسيارته على إحدى محطات البنزين للتزود بوقود لسيارته . وكان ذلك في أعقاب طلاقه ، وقد حمل في حقيبة سيارته الكبيرة كل متعلقاته الشخصية . أجهزة التسجيل واللوحات الفنية والمسدسات . فقد كانت هواية بيتر هي جمع اللوحات الفنية والمسدسات .

عندما ملأ عامل محطة البنزين سيارة بيتر بالوقود ، وأراد بيتر أن يدفع الحساب ، فاكتشف أن محفظته داخل إحدى الحقائب في حقيبة السيارة . توجه إلى حقيبة السيارة ، وعامل المحطة يتبعه ، فتحها وتناول منها محفظة نقوده ليدفع المطلوب منه . هنا .. وقعت عين عامل المحطة

على المسدسات العديدة المبعثرة في أنحاء الحقيبة فقال متسائلاً باندهاش وشيء من السخرية « هاي .. ما الذي تنوي أن تفعله ؟ .. هل تنوي أن تسرق مصرفاً ؟ ! .. »

أراد بيتر أن يخمد شكوك العامل ، فقال له « لا تخف .. أنا أعمل مع الشرطة .. » ، وكان في ذلك الوقت يتعاون بالفعل مع الشرطة في كشف بعض الجرائم . فسأل العامل « .. هل لديك شارة الشرطة ؟ ! » على سبيل المزاح تناول بيتر حقيبة من داخل حقيبة السيارة كان قد وضع فيها جميع شارات الشرطة التي كان قد حصل عليها من جهات الشرطة في مختلف المدن والدول التي تعاون معها ، وكان اسمه محفوراً على كل شارة منها .

لكن هذه الحركة أثارت دهشة العامل فسأله « ما كل هذه الشارات .. هل أنت من المباحث الفيدرالية ؟ » فقال بيتر ضاحكاً « لا .. بل قل ما هو أكبر من المباحث الفيدرالية ! » .. وكان بيتر يشير بذلك إلى تعاونه مع شرطة العديد من الدول ، وليس المباحث الفيدرالية فقط ..

مضى بيتر مندفعاً بسيارته . وما زالت الشكوك تتصاعد في نفس عامل محطة البنزين ، مما دفعه للإبلاغ عما حدث . الأمر الذي أحسنت المباحث الفيدرالية استغلاله .

اجتياز المحنة ..

ورغم أن هذه الواقعة قد انتهت إلى لا شيء ، فقد أثرت تأثيراً سيئ على حياة بيتر وعلى أوضاعه الأدبية والمادية والصحية . فما أن شاع خبر

القبض عليه حتى تخلى عنه كل أصدقائه في هوليود . وصرف النظر عن الفيلم الذي كانت هوليود تنوي انتاجه عن قصة حياة هوركوس . والذي كان من المفترض أن يلعب بطولته جلين فورد .

وقد زاد الطين بلة ، ما حدث بعد ذلك من اعتراف دي سالفو بأنه السفاح ، الأمر الذي شكك الناس في مقدرته ، وعن هذه الفترة يقول « لم أكن في حالة طيبة ... كنت مثل الحطام المتهدم .. لقد مضت عدة شهور قبل أن أستطيع اجتياز تلك المحنة .. » .

ومع هذا ، فقد أجمع كل من تناولوا هذه القضية بالتحليل والدراسة ، من رجال الشرطة والأطباء النفسيين ، أجمعوا على أن دي سالفو ليس هو سفاح بوستون . لقد كان الاتهام محصوراً بين دي سالفو وأوبرين ، وكان كل منهما مريضاً بعقله . والمعروف أن دي سالفو أمضى معظم حياته بين السجون والمستشفيات العقلية . وكان له تاريخ طويل في اغتصاب النساء . ولكنه لم يكن بأي حال من الأحوال منحرفاً جنسياً أو مصاباً بالشذوذ الجنسي ، كما كان الحال مع أوبرين . وهذا هو الفرق الأساسي بين دي سالفو وبين السفاح . فالثابت أن السفاح لم يكن يتصل بضحاياه جنسياً ، بل كان كارهاً للنساء ، وليس مجنوناً بعشقهن كما كان دي سالفو . كان السفاح – من واقع ما حدث لضحاياه – يستمد متعته الجنسية بالاعتداء على ضحاياه مستخدماً أشياء . كالزجاجات وعصي المكانس ! ..

على كل حال ، فقد حوكم دي سالفو على جرائم السرقة تحت تهديد السلاح ، واغتصاب النساء ، أو ارتكاب أفعال منافية للأخلاق

العامة ، لكنه لم يحاكم على جرائم سفاح بوستون رغم اعترافه .. وهكذا أغلق ملف القضية .

السفاح وجهاز كشف الكذب ..

لكن عجائب هذه القضية لم تتوقف . في ١٦ فبراير ١٩٦٨ ، أو بعد إغلاق ملف القضية بأربع سنوات ، نشرت صحف بوستون أن النائب العام الجديد اليوت ريتشاردسون قد أنشأ مكتباً خاصاً لإعادة التحقيق فيما عــرف باسم قضية سفــاح بوستون نتيجة للحصول على « معلومات جديدة » تتصل بالمتهم دي سالفو . والأعجب أنه في أبريل من نفس العام أعلن مكتب النائب العام أن ملفات قضية سفاح بوستون قد أغلقت إلى الأبد ، نتيجة لعدم قدرة الأطباء النفسيين على الوصول إلى قرار حول ما إذا كانت حالة دي سالفو العقلية تسمح بإجراء التحقيق معه ، وخاصة باستخدام جهاز كشف الكذب ..

تتساءل الكاتبة نورما برونتج قائلة « الذي يحتاج إلى إجابة حاسمة ، هل كان من قبيل الصدفة المحضة أن تغلق ملفات القضية بهذا الشكل المفاجئ ، في نفس الوقت بالضبط ، الذي دارت فيه كاميرات التصوير السينمائي لتسجيل أول لقطات من فيلم سفاح بوستون ؟ ! .. إنه من الصعب على أقطاب صناعة السينما أن يسمحوا بالتشكيك في كــــون دي سالفو هو السفاح ، مع الميزانية الضخمة التي رصدت للفيلم والتي تجاوزت عشرة ملايين دولار .. » . لقد بني الفيلم على الكتاب الصادر عن قضية سفاح بوستون ، والذي تضمن أن دي سالفو هو السفاح ..

هل كانت هذه القضية سبباً في إحجام بيتر هوركوس عن المساهمة في كشف غوامض الجرائم مرة أخرى ؟ .. هل اقتنع بأن العناء الذي يلاقيه في عمله هذا ، دون أن يتقاضى أجراً عليه ، مبرر قوي للاقلاع عن التدخل لحل غوامض الجرائم مرة أخرى ؟ ..

ملك الحرير الذي اختفى من كوخ ضوء القمر

في عيد الفصح عام ١٩٦٧ ، اختفى الثري الأمريكي جيم تومسون ، الذي أطلق عليه لقب « ملك الحرير التايلاندي » .. اختفى فجأة من بانجوك دون أن يترك خلفه أثراً .. كان الاختفاء غامضاً وقد بدأ داخل غابات ماليزيا .. والأثر الوحيد الذي تركه جيم تومسون من خلفه هو قدراً واسعاً من التساؤل في جميع أنحاء العالم . وبعد الاختفاء بسنة ، ظهر تحقيق في مجلة نيويورك تايمز يحمل هذا العنوان « هل ما زال جيم تومسون حياً ، وبعافية ، في آسيا ؟ ! » .. كتب الموضوع وليم دارين المدرس بجامعة بانجوك . وقال في موضوعه إن الغموض كان مطبقاً على حادث اختفاء جيم تومسون حتى بدأ بيتر هوركوس جهوده لحل ذلك اللغز .. وان بيتر يؤكد وجود تومسون على قيد الحياة ، بعد اختطافه وأخذه كرهينة في كمبوديا ! ! ...

لكن لنبدأ القصة من أولها ..

عمل جيم تومسون كمهندس معماري في مدينة ولمنجتون بولاية ديلاور . سافر إلى تايلاند لأول مرة خلال الحرب وهو برتبة عقيد في الجيش . وكان يتبع مكتب الخدمات الاستراتيجية « أو . اس . اس » ، الذي كان نواة جهاز المخابرات المركزية الأمريكية . وقد يسرت

وظيفته فيما بعد الحرب أن يتنقل على امتداد الجبهة التايلاندية ، حيث انتهز هذه الفرصة ليرضي هوايته ، وراح يجمع عينات ونماذج الحرير السيامي التي تبهر الأبصار ، والتي كانت صناعتها آيلة إلى الانقراض .

لقد ملكت مشاعره تلك القطعة القديمة المتهرئة من النسيج ، فراح يجمعها من كل مكان وفي ذهنه أنها تصلح كهدايا قيمة للأصدقاء . بدأ اهتمامه بها فنياً خالصاً ، لكنه بعد قليل تحمس لاحياء ذلك الفن القديم الآخذ في الانقراض ، وما لبث أن وجد نفسه غارقاً في تجارة النسيج على المستوى العالمي .

على مدى السنين ، تحول جيم تومسون إلى شيء أشبه بالأسطورة في جنوب شرق آسيا ، وحقق ثروة كبيرة من تجارته في الحرير التايلاندي .. ر كما يطلق عليه حرير التاي . وقد أصبح يعيش في منزلة الأنيق في بانجوك ، ذلك المنزل الذي أصبح من معالم المدينة التي يسعى الناس إلى مشاهدتها ، بحدائقه المنسقة الجميلة ، وبمجموعته من التحف الأثرية الآسيوية النادرة . كما اكتسب تومسون شهرة عريضة كمضيف مثالي لقائمة متنوعة من الشخصيات ، ومشاهير العالم الذين يزورون المنطقة ، بالإضافة إلى كبار الرسميين التايلانديين .. وقد تناثرت الشائعات حول استمرار اتصاله بمخابرات الجيش الأمريكي . هذه الشائعات التي قويت أكثر من أي وقت مضى بعد اختفائه .

آخر الجولات !! .

كانت دوائر أصدقائه تمتد وتتسع لتشمل الشخصيات من مختلف

الاهتمامات والحرف . وفي عطلة عيد الفصح عام ١٩٧٦ ، قدم جيم تومسون مع صديقته كوني مانجسكاو ، صاحبة الأعمال التايلاندية إلى سنغافورة لينزلا كضيفين على دكتور لينج وزوجته ، اللذين كانا يملكان كوخاً صيفياً في مرتفعات كاميرون جنوب ماليزيا .

كان المشهد حول البيت من أجمل المشاهد ، وقد أطلق دكتور لينج على كوخه هذا اسماً رومانتيكياً هو «كوخ ضوء القمر» .. وكان الكوخ يستوي فوق أعلى منطقة في هذه المرتفعات .. من كوخ ضوء القمر هذا ، اختفى جيم تومسون بطريقة غامضة ، بعد ظهر أحد عيد الفصح ، في ٢٦ مارس ١٩٦٧ .

كان تومسون ينوي السفر إلى سنغافورة صباح اليوم التالي لاجراء سلسلة من الاتصالات التجارية ، وكان يسعى إلى تمضية عطلة أسبوع هادئة ومريحة بين أصدقائه . وفي صباح يوم الأحد قام الجميع برحلة في المنطقة ، وعند عودتهم إلى البيت قرر الجميع أخذ قسط من الراحة والنوم ، بينما قال تومسون إنه سيبقى في الشرفة ليأخذ حمام شمس ..

وفي حوالى الساعة الثالثة والنصف سمع دكتور لينج وقع خطوات بالشرفة ، فقال لزوجته إن تومسون لا بد أنه قرر أن يمضي في جولة حول الكوخ .

فهل كان وقع الأقدام الذي سمعه صاحب البيت لفرد واحد ؟

الشيء الثابت ، أن هذه الجولة التي قام بها تومسون كانت آخر جولاته ! ..

غموض كامل .. !

وعندما لم يعد تومسون مع حلول الليل ، أسرع دكتور لينج بإخطار السلطات ، التي بدأت على الفور بحثها وتنقيبها . وبدأ التساؤل : هـل يا ترى ضل طريقه داخل الغابة ؟ ..

بدا هذا الاحتمال بعيداً ، خاصة بالنسبة لواحد كتومسون الذي كان خبيراً في اختراق الأدغال ، منذ أيام عمله في الجيش ، وقد عرف عنه إحساس قوي بالاتجاهات .

لقد عثروا على علبة سجائره في الشرفة .. ألا يعني هذا أنه كان ينوي العودة إليها بعد زمن قصير ؟ .. أم أنه يترك علبة السجائر متعمداً ، لما عرف عنه من رغبة في الامتناع عن التدخين ؟ .. هل يا ترى أصابه الإعياء فجأة وهو وسط الغابة فلم يقو على العودة إلى كوخ ضوء القمر ؟ .. لكن الشواهد كلها تؤكد أنه كان يبدو في صحة جيدة خلال عطلة نهاية الأسبوع ، مما يدفع إلى التخلي عن مثل هذا الفرض .

أثارت قضية اختفاء جيم تومسون ، ملك الحرير التايلاندي ، أكبر حملة بحث وتنقيب في تاريخ المنطقة . واستمر بحث السلطات الرسمية لمدة عشرة أيام ، واشترك في هذا البحث الرسمي أكثر من ثلثمائة شخص . وظهر خبر الاختفاء في عناوين عريضة بمعظم صحف العالم ، ومع هذا لم يتمخض ذلك كله عن شيء ولو مؤشر بسيط يقود إلى أول خيط من خيوط البحث ، ويلقي ولو ضوءاً خافتاً على غموض ذلك الحدث .. وكان هذا في حد ذاته سبباً في المزيد من الاهتمام بالحدث ..

منافس البوموس

من المعروف أن « البوموس » أو الأطباء السحرة في جنوب شرق آسيا ، ما زالوا يحتلون مكانة مرموقة ، كما ان الممارسات الشعبية التقليدية ما زالت تحظى باحترام كبير بين الناس . وعندما شارك البوموس في هذا البحث ، طرحوا مجموعة من النظريات في تفسير سر اختفاء جيم تومسون وفي تحديد مصيره . قال احد هؤلاء السحرة انه موجود في تجويف بجذع شجرة ضخمة ! وقال آخر إن مغنية كاباريه شقراء قد سجنته في كوخ صغير .. لكن ما ان أوشك شهر ابريل أن ينقضي حتى بدأ البوموس أو الأطباء السحرة يواجهون منافسة قاسية من مشاركة بيتر هوركوس ! ..

كان قد جرى التعاقد مع بيتر هوركوس على أساس المساعدة في تحديد المكان الذي يختفي فيه جيم تومسون . وقد اجرى التعاقد وتكفل بالنفقات السيد جيمس دوجلاس من شيكاغو ، وزوج اخت المختفي جيم تومسون .

تحكي نورما برونتج كيف وصل إلى سمعها لأول مرة خبر اشتراك بيتر هوركوس في هذه القضية فتقول «كان لقائي الثاني مع بيتر هوركوس في هوليود ، بعد ان انقطعت الصلة بيننا لعدة سنوات ، وكان ذلك في حفل ضم مشاهير أهل الفن . تحدث بيتر معي حول آخر ارتباطاته فقال إنه سيسافر قريباً إلى آسيا للعمل على كشف غوامض قضية اختفاء جيم تومسون . في ذلك الوقت كنت حقيقة لا آخذ اقواله مأخذ الجد .. كان الحفل ناجحاً وصاخباً وكنا جميعاً نستمتع به ، فتمنيت له رحلة طيبة ، وانا أرشف من كأس الفودكا ، وأقول لنفسي .. من بحق السماء ذلك الساذج الذي

يستأجر رجلاً هولندياً يزعم تمتعه بقدرات عقلية خارقة ، للبحث عـن الملك ، ملك الحرير التايلاندي الضائع في بانجوك ؟ .. لم أكن أدري ساعتها أنني بعد ذلك بسنوات سأجد نفسي غارقة في إعداد مادة كتاب عن حياة بيتر هوركوس ، ونشاطه ، وأعماله الخارقة ، التي كان لا بد أن تتضمن جهده المتميز في حل ألغاز قضية جيم تومسون .. » .

وتستطرد السيدة نورما قائلة « وأنا الآن أنظر إلى الأمر كصدفة غريبة ، ذلك أنني قبل أن أسمع عن بيتر هوركوس ، كنت قد عرفت جيم تومسون شخصياً ، وكان وقتها بطلاً لواحدة من أكثر مغامرات الجاسوسية آخذاً للأنفاس .. لقد انتقلت بذاكرتي إلى صيف عام ١٩٥٥ ، عندما زرت بانجوك للمرة الأولى مع زوجي ، والتقينا هناك بملك الحرير جيم تومسون ، كان رجلاً طويل القامة ، اصطبغ جلده بصبغة استوائية ، مما جعل له نظر الكاوبوى الأمريكي » .

رحلة السامبان ..

تصف نورما بداية نشاط جيم تومسون فتقول « في كل صباح ، وحوالى الثامنة ، كان يتقافز فوق الدرج المفكك المهتز الهابط إلى القناة حتى يصل إلى قارب « سامبان » وهو قارب صغير بشراع من القش على الطريقة الصينية ، وبهذا القارب كان جيم يمضي في القناة الموحلة بأطراف المدينة ، ليختفي في متاهة من العشش السيامية التي تتكوم على شاطئ النهر .. لم يكن بإمكان أحد أن يخمن أنه من ذلك المكان الكئيب ، تخرج أجمل قطع النسيج النادرة المبهرة ، ذات السمعة العالمية الواسعة ،

والذي كان يباع في ذلك الحين بعشرين دولاراً للياردة .. حرير تايلاند الذي أصبح يتسابق إلى دفع أعلى سعر له عارضات الأزياء في أمريكا ، وممثلات برودواي وهوليود ، وشخصيات المجتمع الراقي وكل من يطيق أن يدفع ثمنه المرتفع .. » .

« فمنذ أن عرضت مسرحية (أنا والملك) شاع في برودواي استعمال الحرير السيامي لعدة سنوات .. وكان المسؤول عن هذا الشيوع والانتشار ، رجلاً أمريكياً أعزب يعيش في بانجوك .. الضابط السابق في الجيش الأمريكي والذي كان حينذاك لا يعرف الفرق بين دودة القز والبالون المطاط . عندما قابلنا جيم تومسون كانت تجارته حتى ذلك الوقت تبدو رائجة ، لكنها كانت مجرد البداية . أمضينا معه بعض الوقت في متجره ، وفي بيته الفاخر ، واصطحبنا معه في جولاته الصباحية على النساجين » ..

« في ذلك الوقت لم تكن في بانجوك مصانع للنسيج . كانت النساء السياميات ينسجن الحرير على أنوال صغيرة في بيوتهن . وفي القرية التي تكومت عششها على شاطىء القناة ، والتي كان يتجمع فيها الحرفيون العاملون في النسيج الحريري . لم يكن بها في بداية الأمر سوى نولين للنسيج . وعندما زرنا هذه القرية عام ١٩٥٥ ، كان بها أكثر من مائتي نول ، بالاضافة إلى المئات الأخرى التي لا يمكن حصرها في المقاطعات المختلفة لتايلاند . وفي بانجوك كان هناك أكثر من عشرة محلات لبيع الحرير التايلاندي ، تزود أربع شركات للتوزيع في أمريكا بالحرير الفخم الملون .. ومع هذا ، كانت هذه التجارة في طفولتها الأولى » ..

مفاجأة في مجلة فوج ! ..

بعد انتهاء الحرب كان تومسون ينوي العودة إلى أمريكا ، ليواصل عمله كمهندس معماري في نيويورك . وعندما كان يتأهب لرحلة العودة إلى بلده ، اقترح عليه صديق حميم أن يأخذ معه مجموعة هداياه من النسيج السيامي ليعرضها على محرري مجلة فوج الباريسية والمتخصصة في الأزياء . لم تكن الأزياء النسائية من المسائل التي تشغل بال تومسون ، ولكن إرضاءً لذلك الصديق ، قام بالمهمة متوجهاً إلى مكاتب مجلة فوج . هناك .. فوجئ بصيحات الإعجاب المتصاعدة ، وبعشرات الأسئلة المتلاحقة التي تدفقت عليه .. كيف نحصل على مثل هذا النسيج ؟ .. ما هي الكميات التي يمكن أن نحصل عليها ؟ .. ما هو أقصى معدل إنتاج في السنة ؟

بعدها ، وجد تومسون نفسه غارقاً في تجارة الحرير ، دون أن يكون لديه متر واحد من الحرير !! ..

عاد ثانية إلى بانجوك ، وبدأ يحصر عدد النساجين الموجودين . في ذلك الوقت ، عام ١٩٤٨ ، كان أهل سيام يصنعون هذا النسيج لاحتياجاتهم الشخصية فقط . وكان اقناعهم بإنتاج النسيج على أساس تجاري أمراً شاقاً . مرت سنتان لم يحقق فيهما تومسون أي أرباح أو نتائج مادية ، بل خسر ما كان معه .. لكنه تعلم الكثير في هاتين السنتين ..

تعلم كل شيء عن سداة النسيج ولحمته .. عن الصباغة ، عن دودة القز التي كان يتم توالدها في منطقة بشمال سيام . لقد أصبح باختصار خبيراً في كل ما يتصل بالحرير التايلاندي . إلى حد أن حكومة بورما

تعاقدت معه لمدة عام كمستشار في شؤون الصباغة للنساجين في بورما ، في محاولة لرفع معدل صادرات بورما من الحرير ..

كان تومسون يمضي يومياً في جولاته على النساجين ، محاولاً حثهم على مواصلة الإنتاج ، ذلك أنهم ما كانوا يقتربون من أنوالهم إلا إذا لم يجدوا ما هو أمتع لهم من ذلك .. وكان هذا هو السر في ارتفاع سعر الحرير التايلاندي . كان تومسون يساعدهم ، يمدهم بالألوان والصبغات ، ثم يلتقط ما انتهوا من نسجه ، طالباً منهم المزيد .

أما فترة ما بعد الظهر ، فقد كان تومسون يقضيها في متجره بشارع سورونجز ، مستقبلاً زبائنه ، أو عاقداً الاجتماعات مع حائكة الملكة ، ليساعدها في تصميم الرداء الملكي الجديد . وفي أثناء ذلك كان يلتقط كل ما يمر عليه من معلومات عن الموضة ، حتى يستطيع أن يواجـــه استفسارات ومطالب السياح من زبائنه ، والذين بدأوا يعرفون طريقهم إلى متجره .

وفي عام ١٩٥٥ ، لم يكن تومسون قد أصبح بعد في عداد الأثرياء ، لكن ما لبثت الشركة التي أسسها أن أصبحت تتعامل فيما يزيد على مليون ونصف مليون دولار سنوياً ، كما أن ١٥٠ شركة أخرى للنسيج بدأت عملها في تايلاند . وبهذا أصبح الحرير من أهم صادرات تايلاند . وفي عام ١٩٦٧ كان تومسون قد حقق ثروة هائلة ، وسمعة عالمية واسعة باعتباره ملك الحرير التايلاندي ، فكيف ولماذا اختفى هكذا ، دون أن يترك خلفه أي أثر ؟ ؟ ..

سوكارنو نام هنا !!

كانت شقيقة تومسون تتعلق بقشة أمل واهية ، عندما ألحت على زوجها أن يتصل ببيتر هوركوس . وفي ١٤ إبريل ١٩٦٧ وصل إلى بيتر خطاب من زوج أخت تومسون يطلب فيه المشاركة في البحث عن الرجل المفقود ، ويتضمن العرض المالي المطروح ، بالإضافة إلى بعض المعلومات الضرورية . وخطابات التوصية المطلوبة إلى رجال سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في بانجوك لتسهيل مهمته في البحث عن الرجل المفقود .

متسلحاً بهذه الخطابات ، وبأشرطة التسجيل ، وآلات التصوير ، سافر بيتر مع مساعدته وسكرتيرته ستيفاني في ١٩ إبريل ١٩٦٧ إلى بانجوك . وكما فعل صديقه جيم كرين معه أثناء عمله في قضية سفاح بوستون ، قامت ستيفاني بتسجيل كل ما فعله أو قاله في هذه القضية .

عندما وصل بيتر إلى بيت تومسون في بانجوك ، تجول في أنحائه حتى وصل إلى الحجرة التي ينام فيها الضيوف ، فقال « أرى أن سوكارنو نام هنا .. والجنرال بلاك أيضاً » ثم استطرد بعد لحظة « كان تومسون يلعب بالنار ، يرتبط في بعض الأحيان بأشخاص غير لائقين .. لا أعتقد أنه يدرك كم هو محبوب جداً .. » .

في ٢٤ ابريل ، وصل بيتر وستيفاني إلى كوخ ضوء القمـــر ، وهنا أيضاً أخذ بيتر يتجول في المكان ، ثم راح يدور حول الكوخ حاملاً في يده صورة فوتوغرافية لتومسون.. بعد ذلك أشار إلى مقعد بالشرفة وهو يقول « هذا هو المقعد الذي جلس عليه تومسون آخر مرة » . جلس بيتر على المقعد لبعض الوقت ، وأخذ يتحسسه وهو يتمتم « نعم .. هذا هو

المقعد » . ثم قام بجولة أخرى حول الكوخ ، وعاد إلى الشرفة وجلس وهو ما زال يمسك بصورة تومسون في إحدى يديه ، وممسكاً بعض الخرائط في يده الأخرى . ثم غرق في حالة من التركيز والتفكير العميق .

وفجأة .. بدأت الكلمات تتدفق من بين شفتيه « آه .. بريبي .. تومسون .. بريبي ، بريدي .. أربعة عشر شخصاً قبضوا عليه .. بريب أو بيبي .. إنه ليس في هذه الغابة .. أريد أن أتبع الطريق الذي سلكوه عندما وضعوا يدهم عليه .. كان يجلس هنا بالضبط .. على هذا المقعد .. لم يكن يوجد أحد معه بالشرفة .. كان الجميع في الدور العلوي .. كما أن أحداً لم يكن بحجرة المعيشة المجاورة للشرفة .. كان يجلس منفرداً أربعة عشر شخصاً .. وسيارة كسيارات الجيش . مثل اللوري .. نعم .. أرى اللوري .. من هنا سار مع شخص .. صديق له .. اسمه بيبي أو بريدي .. الأمر لا يتصل بعصابات .. لقد سار أكثر من نصف ميل مع بيبي هذا أو بريبي .. كان اللوري في الطريق ينتظر .. أربعة عشر رجلاً .. شخص واحد هو الذي استدرج تومسون وكان على معرفة سابقة به .. ثم سارا معاً على امتداد هذا الطريق حتى اللوري .. الآن يأتي دور المورفين .. إنه يرقد في اللوري .. الآن يتحرك اللوري مبتعداً .. » .

الخاطف رئيس وزراء !!

عندما وصل بيتر إلى هذا ، أخذ استراحة ، وبعد أن تناول قدحاً من القهوة ، عاد إلى التركيز في محاولة لاستقراء ما حدث .. وكان ملخص ما قاله هو أن ذلك الشخص بيبي أو بريبي أو بريدي صافح

تومسون ثم سارا معاً يهبطان الطريق .. ثم نهض بيتر وراح يقتفي آثار تومسون بينما تبعه الجميع في صمت يشوبه التوتر والاثارة . توقف فجأة في بقعة معينة وهو يقول « وقفا هنا .. ثم حمله إلى هنا .. وخلف هذا المنحنى كان اللوري ينتظر . » .

انتقل بيتر إلى الجانب الآخر من الطريق ، وجلس على الأرض ليرسم على التراب الطريق الذي « رأى » اللوري يسلكه ، وهو يقول « لقد سلك اللوري الطريق الطويل للهبوط من الجبل بدلاً من أن يسلك الطريق القصير .. وذلك لخلوه من الناس .. لا أدري بالضبط هل خدروه بالمورفين ، أم أنهم وضعوا شيئاً على وجهه أفقده الوعي سريعاً .. » . كما قال بيتر إن الرجل الذي استدرج تومسون كان في حوالى الثانية والسبعين من عمره ..

وبعد استراحة ثانية ، قال بيتر «كمبوديا .. هو هناك .. أراه في كمبوديا ، لم تختطفه عصابة .. بل إن الأمر يتصل بالسياسة .. لقد نقلوه من اللوري إلى الطائرة ، طارت إلى كمبوديا .. إنه ما زال على قيد الحياة » .. !

أثارت أقوال بيتر ضجة سياسية ، فقد تبين أن جيم تومسون كان له صديق يدعى بريدي ، واحد من أصدقائه السياسيين القدماء . اسمه بالكامل بريدي فانا مايونج ، تولى أكثر من مرة رئاسة وزراء تايلاند .. وكان بريدي هذا قد شارك في الانقلاب الذي أطاح بالملكية ، وقد بدأت صلة تومسون به ، عندما كان تومسون يعمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية بالجيش .

من سيام إلى هوليود

أراد بيتر أن يسافر إلى كمبوديا لمواصلة البحث عن تومسون . في أول الأمر ، بدأ الاعداد لسفره إلى كمبوديا كسائح ، فلم يكن من الممكن أن يصطحبه أحد من المسؤولين الأمريكيين ، ذلك لتوتر العلاقات بين كمبوديا وأمريكا . لكن هذا السفر لم يتم ، وجرى تبادل البرقيات بين بانجوك وواشنطن .. ثم توقف هذا كله فجأة لسبب لم يجر الافصاح عنه حتى اليوم . وهكذا اضطر بيتر إلى العودة إلى أمريكا . ولعل آخر ما نشر هو ما ظهر في إحدى الصحف من أن جيم تومسون ما زال حياً ؛ وقد شوهد في مكان ما بآسيا ، وإن لم تحدد الجريدة ذلك المكان .

وقد رأى بعض القريبين من القضية ، أن خطف تومسون جرى كحلقة من مؤامرة شيوعية لوقف قصف أمريكا لفيتنام الشمالية بالقنابل . وأن الخطف تم للضغط على تايلاند التي لتومسون نفوذ فيها ، حتى لا تسمح للطائرات الأمريكية بالإقلاع من تايلاند لقصف فيتنام الشمالية بالقنابل .

لكن مغامرات بيتر هوركوس لم تقتصر على جرائم السفاحين ، والبحث عن المختطفين في أدغال تايلاند ، ففي هوليود مدينة السينما كانت له أكثر من قصة .

هُوركوسْ .. يُـثيرُ ضَجَّة في هُوليوُد

وقعت هوليود في غرام بيتر هوركوس عندما ظهر لأول مرة في البرنامج التليفزيوني « خطوة الى الأمام » ، وكان ذلك في ربيع عام ١٩٦٠ . وقد استطاع بيتر أن يصبح نجماً مشهوراً وسط عالم من النجوم المشهورين . ونجح في أن يبعث الحماس في نفوس هؤلاء النجوم الذين شاهدوا كل شيء وجربوا كل شيء وحصلوا على كل شيء ، فلم يعد يثيرهم أي شيء .

كان اللقاء الأول بين مارلون براندو وبيتر هوركوس في منزل المنتج كولير يونج الذي أنتج البرنامج التليفزيوني عن بيتر . كان مارلون براندو من أشد المنكرين لفكرة القدرات العقلية الخاصة التي يتمتع بها بعض البشر ، فسأل بيتر إذا ما كان يسمح له بإجراء اختبار لمعرفة حقيقة موهبته . لم يكن بيتر يشعر بأدنى حساسية إذا ما طلب أحدهم أن يختبر قدراته طالما أن ذلك يتم بصراحة ودون مداراة .

هكذا ، عاد مارلون براندو في الليلة التالية يحمل بين يديه صندوقين مغلقين قد لفهما بالورق أكثر من مرة بعناية شديدة . قدم براندو الصندوقين إلى بيتر ، ونظر اليه وقد عقد حاجبيه بطريقته المعهودة وهو يقول « أتعتقد أنك قادر على معرفة ما يحتويه كل من هذين الصندوقين ؟ ! .. » .

تناول بيتر الصندوقين ، وأخذ يمرر عليهما يديه ، واحداً بعد الآخر ،

وقد غرق في التركيز الشديد ، ثم قال في آخر الأمر « أرى ناراً أو انفجاراً ، في البحر .. لديك يا سيدي في هذا الصندوق قطعة معدن ذهبية مدببة .. مسمار من سفينة .. » . وبعد توقف قصير قال « أما هذا الصندوق ففيه خطاب .. ولتعذرني يا سيدي إذا قلت لك إن هجاء الكلمات فيه سيئ إلى حد بعيد .. » .

كان محقاً ! .

أو على الأقل كان محقاً في معظم ما قال . ففي أحد هذين الصندوقين وضع براندو مسماراً من النحاس اللامع – وليس من الذهب كما قال بيتر – تذكار من السفينة الشهيرة بونتي .. وفي الصندوق الآخر وضع براندو خطاباً كان قد تلقاه من طبيب نفسي بينهما صداقة .. وكان واضحاً من الخطاب أن الطبيب النفسي كان ضعيفاً في تهجئة الكلمات . وكان مارلون براندو في ذلك الوقت يلعب دوره في فيلم « ثورة على السفينة بونتي » ، لكنه لم يكشف لأحد عن حصوله على ذلك المسمار التاريخي ، لذلك كانت دهشة براندو شديدة .

من يومها أصبح مارلون براندو من مريدي بيتر هوركوس ، ودعاته .

قطة زوجة فابيان .. !

كان من الواضح أن بيتر هوركوس يملأ فراغاً في مدينة هوليود . وكان نجوم السينما ونجماتها يترددون عليه لاستشارته في شؤون حياتهم الخاصة وعملهم ، كما يذهب الناس إلى المنجمين ، أو المحامين ، أو الأطباء النفسيين .

من قصص بيتر في هوليود ما حدث له مع النجم السينمائي فابيان ، عندما لجأ إليه لمساعدته في العثور على قطة زوجته ! .

لم يكن فابيان قد سمع عن بيتر ، والعكس صحيح ، لكن زوجة فابيان كانت ممن يهتمون بالإدراك الحسي الخارق ، لذلك فقد تعرفت على بيتر عندما التقت به وهي بصحبة فابيان في أحد العروض السينمائية ، وكانت قد شاهدته على شاشة التليفزيون ، ورأت صورته أكثر من مرة في الصحف . ويومها طلبت من بيتر أن يوقع لها على الأتوجراف ، بينما بقي فابيان طوال هذا يتململ .

يحكي فابيان قصة ضياع قطة زوجته فيقول «كانت مجنونة بقطتها هذه ، وبعد أن ضاعت وفشلنا في العثور عليها ، كنت على وشك استدعاء الكلاب البوليسية للمساعدة في البحث عنها ، عندما قالت زوجتي : لماذا لا تتصل ببيتر هوركوس ؟ .. الحق أنني نظرت الى هذه الفكرة باعتبارها سخافة تامة . فأنا لا أؤمن بكل مسائل القدرات العقلية الخاصة ... لكننا كنا قد قمنا بكل ما يمكننا من جهود ، وانتهينا من تمشيط المنطقة التي نسكن فيها ، على امتداد عشر عمارات فلم نعثر للقطة على أثر . وهكذا ، اتصلت أخيراً بالسيد هوركوس حتى اهدئ من روع زوجتي . طلب منا أن نأتي له بشيء يتصل بالقطة الضائعة ، فأخذت له بعض الأشياء التي كانت في صندوقها . واصطحبت معي أخي الذي كان يعتبر التجائي إلى هوركوس نوعاً من الخبل .. الأمر الذي لم يكن في إمكاني أن أدافع عنه ! » .

يواصل النجم فابيان روايته فيقول « أعطينا بعض متعلقات القطة الى

السيد هوركوس ، بعض لعبها ، وملاءة كانت في صندوقها ، فأخذ هذه الأشياء ورقد على الأريكة ، بعد أن وضعها الى جواره كما لو كان سينام معها . وما لبث أن نهض قائلاً إن قطتنا موجودة في عمارة شقق سكنية على بعد ثلاث عمارات من منزلنا ، لكنه لم يستطع أن يحدد الاتجاه . قال إن سيدة عجوزاً عثرت على القطة ، فأغلقت عليها باب شقتها . ثم قال إننا سنعثر على القطة بعد ثلاثة أيام .. وطلب منا أن نذهب الى ذلك المنزل الذي يبعد بثلاث عمارات عن منزلنا ، ثم ننادي اسم القطة ، فتأتي إلينا .. » .

وكان هذا بالضبط هو ما فعله فابيان وزوجته . بعد أن ناديا عدة مرات باسم القطة « سيلي » ، أقبلت تزحف من أسفل شرفة أحد المنازل .. ويعلق فابيان على هذه التجربة فيقول « لقد كان هذا بمثابة الصدمة لي .. لم أكن أستطيع أن أصدق شيئاً كهذا ! » .

لوسي .. وفيلم صوت الموسيقى

أما لوسيل بول ، بطلة الحلقات التليفزيونية « لوسي » ، فقد ذهبت الى بيتر تستشيره فيما لو كان اشراكها لابنيها بصفة دائمة في الحلقات التليفزيونية سيعود بالخير على الطفلين وعلى البرنامج .. قال بيتر إنها ستشرك الطفلين في الحلقات وأن هذا سيقود الى نجاح كامل للطفلين وللحلقات . وقد صدقت أقوال بيتر ، فنجح البرنامج نجاحاً كبيراً باشراك الطفلين ، وقال النقاد إن الطفلين قد « سرقا الكاميرا » من والدتهما ! .

وقد بلغ من إعجاب الممثل الكبير جلين فورد بقدرات هوركوس أن

بدأ بالفعل الاعداد لفيلم سينمائي عن بيتر . وكما قلنا من قبل ، كان بيتر يعيش في بيت جلين فورد عندما جرى استدعاؤه للمشاركة في حل ألغاز قضية سفاح بوستون .

ذات مساء ، أقام جلين فورد حفلاً في بيته دعا إليه الكاتب السينمائي ارنست ليمان والمخرج ويلي وايلر . كان ليمان قد انتهى لتوه من توقيع العقد الخاص بكتابة سيناريو فيلم « صوت الموسيقى » . ذلك الفيلم الذي أعاد الى شركة فوكس للقرن العشرين توازنها الاقتصادي خاصة بعد الفشل الذريع والخسارة الضخمة التي تسبب فيها فيلم «كليوباترة » .

كان ليمان في هذا الحفل يحاول إقناع وايلر بقبول اخراج فيلم « صوت الموسيقى » . وقد واصل ليمان محاولاته لاقناع وايلر طوال الحفل ، فقال وايلر متهرباً « فلنأخذ رأي بيتر هوركوس ! » .. وكان بيتر ضمن المدعوين الى الحفـل . فسأله وايلر « قـل لي .. هل لي أن أقبل اخراج فيلم صوت الموسيقى ؟ » .

وكعادة بيتر ، طلب أن يمسك بالسيناريو في يده ، فقال له وايلر إن السيناريو لم تتم كتابته بعد ، ثم قال لبيتر « لماذا لا تمسك بيدي بدلاً من السيناريو ؟ ! » .

أمسك بيد وايلر في قوة ، ثم انفجر قائلاً في حماس « نعم .. نعم .. يجب أن تقبل إخراج هذا الفيلم .. أنا لا أحب هذا النوع من الأفلام ، لكن هذا الفيلم سيحقق أرباحاً ويلاقي نجاحاً كبيراً .. » والكل يعلم أن ذلك الفيلم حقق أرباحاً هائلة تجاوزت ٣٢ مليون دولار ! !

والطريف في الأمر أن وايلر مع هذا لم يستجب لنصيحة بيتر ، ورفض

قبول اخراج الفيلم ، وأوكل اخراج الفيلم الى روبرت فايس .

الى جانب نشاط بيتر هوركوس في هوليود ، كان له نشاط في مجالات المسرح والاذاعة والتليفزيون .. وكان يقدم عرضاً لقدراته العقلية المتميزة . وفي أغسطس ١٩٦٩ ، ظهر بيتر هوركوس كضيف في برنامج « منوعات دافيد فروست » بنيويورك ، وكان الضيف الآخر في البرنامج الكاتب الصحفي ليونارد ليونز .

في ذلك العرض قدم فروست لبيتر صندوقاً مغلقاً ومغلفاً بالورق السميك ، وطلب منه أن « يرى » بعقله ما في الصندوق . والوحيد الذي يعرف ما كان بالصندوق هو الصحفي ليونز ، وحتى فروست لم يكن يعرف .

بدأ بيتر يمر بيده على الصندوق ، ثم قال « أرى أسلاكاً .. ومسامير وخطافات .. يا الهي .. فظيع .. ما هذا الذي فعله ذلك الرجل بعالمنا .. فظيع للغاية .. إنه عبقري لكنه إنسان سيئ .. انتظر .. أرى تليفون .. إنه تليفون .. يجب أن نصلي لخلاص روح ذلك الرجل .. ! ! » .

وعندما جرى فتح الصندوق أمام عدسات التليفزيون ، خرج منه جهاز تليفون .. جهاز غير عادي ، فقد كان التليفون الذي يستخدمه هتلر في الفيللا الجبلية الخاصة به في برستيجادن ! ..

وقد حاول الكثيرون أن ينصبوا فخاخاً لبيتر هوركوس . كأن يدسوا شيئاً ليس له صله بمجموعة الأشياء التي يفحصها ، ليعرفوا إذا كان سيفطن لذلك أم لا . كما رأينا عند أول لقاء له مع رجال الشرطة ومكتب النائب العام الذي كانوا يعملون معه في قضية سفاح بوستون . وفي أغلب الأحيان

كان بيتر يفطن إلى هذا ويثور ثورة عارمة .

ومن بين هذا ما فعله أحد مذيعي التليفزيون ، عندما دس لبيتر صورة فوتوغرافية ليس لها صلة بباقي الصور التي كان « يقرأ » أشياء حول أصحابها .

عندما تناول بيتر المظروف السميك الذي بداخله الصورة ، قال إن صاحب هذه الصورة طويل القامة ، غامق البشرة ، يرتدي حلة سوداء ، وقال « إنه رجل لطيف ، لكن له طباع فظيعة ، في بعض الأحيان ينفجر ثائراً صائحاً عندما ينفعل ، لكنه لا يعني ما يفعله عندئذ ، فهذه الثورة لا تستمر .. ما أن تمر دقيقتان ، حتى يتغلب عليها .. إنه يحب الحفلات الساهرة ، ويميل الى أن يرى الناس من حوله دائماً ، ويتذوق النكتة الجيدة . إنه رجل كريم للغاية .. وهو شخص غير عادي بالمرة .. » .

وعندما أخرج المذيع الصورة من داخل الظرف وعرضها أمام بيتر وعدسات التليفزيون ، ظهر الاضطراب الشديد على بيتر .. لقد كانت الصورة لبيتر هوركوس ! ! .

لم يحدث هذا لبيتر من قبل ، إنها المرة الأولى التي « يرى » فيها أشياء عن نفسه ، لهذا أصابه الاضطراب الشديد .. وساده الاكتئاب لفترة بعد هذه الواقعة .

ايزنهاور .. متى يتوفى ؟

في يوليو عام ١٩٦٨ ، بينما كان بيتر يعمل في ملهى «الأنهار الثلاثة» بنيويورك ، اتفق معه أصحاب احدى محطات الاذاعة التجارية ، على

سلسلة من العروض ، تتضمن « قراءة » ما يتصل ببعض الشخصيات المهمة ، والتي تحتل مكان الصدارة في الأنباء .

كانت صور الأشخاص توضع في أظرف من الورق السميك المعتم « مانيلا » ، ولم تكن هناك أية علامات مميزة على هذه الأظرف . في أحد هذه العروض ، مد مقدم البرنامج يده الى بيتر بأحد هذه الظروف .

أمسك بيتر الظرف وتحسسه ثم قال « هذا شخص يجب أن يكون تحت الرعاية الطبية اليومية .. هادئ تماماً .. لا يعمل .. من المهم أن يستريح .. أراه في حجرة صغيرة .. في جانب الحجرة يوجد بيانو .. كما يوجد أيضاً حـــامل للوحات الرسم .. إنه يرسم .. هــذه هوايته .. من الأفضل له أن يقطع كل صلة له بعالم السياسة .. يجب أن يستريح تماماً .. سيدخل المستشفى قريباً .. أتمنى له حياة طويلة .. علينا أن نصلي لذلك الرجل .. إنه شخص لطيف .. بكل أسف لا أرى أمامه حياة طويلة ممتدة .. » . سأله مقدم البرنامج « هل تعني انه يقترب من نهاية حياته ؟ .. » أجاب بيتر « هذا هو ما أراه .. لا أستطيع أن أتحكم فيما أراه أو أعدل فيه » .. أخرج مقدم البرنامج الصورة من ظرفها وكشفها للجمهور ولبيتر في نفس الوقت قائلاً بهدوء « هذه هي صورة الرئيس السابق دوايت ايزنهاور» .

كان أيزنهاور في ذلك الوقت بالمستشفى للمرة الثانية ... وقد دفعت حالته الصحية الأطباء الى إدخاله وإخراجه من المستشفى أكثر من مرة خلال الشهور الأخيرة . لقد أخطأ بيتر في التوقيت . لقد رأى أن نها أيزنهاور ستحل في غضون أسابيع .. وكان هذا التقدير هو الشائع بي

الكثيرين من المتصلين به .. لكن أيزنهاور عاش بعدها لعدة شهور ، ومات في مارس ١٩٦٩ .

أسرة ذات متاعب

قبل وفاة سيناتور كنيدي بستة أشهر ، أمسك بيتر هوركوس بظرف يحتوي على صورة تيد كنيدي أثناء أحد هذه العروض التي كان يقدمها للجمهور ، وقال « هذه عائلة تنوء بالعديد من المشاكل .. أرى الكثير من الاخوة والأخوات .. أحد هؤلاء الاخوة قد قتل .. لا .. بل قتل أخان ؟ .. (لم يكن واثقاً بالنسبة لهذه المعلومة) .. لكني أرى شقيقاً ثالثاً سيتعرض لحادث قتل .. ليس هذا الذي في الصورة .. الذي في الصورة سينجو من الموت .. لا أرى له نفس النهاية العنيفة التي للآخرين .. أرى له مستقبلاً صاعداً .. ربما في شؤون السياسة .. » وقد حدث بالفعل أن نجا تيد كنيدي من حادث تحطم طائرة كان يركبها ..

فيما يتعلق بهذه القراءة سألت نورما برونتج مستفسرة من بيتر « إذا كنت قد علمت كل هذه المعلومات عن هذه الأسرة ، ألم يكن في مقدورك أن تستنتج عمن تتكلم ؟ » قال « أنا أقول ما أراه وأسمعه فقط .. أنطق بما يردده الصوت في رأسي .. إذا لم يقل الصوت أن الصورة لكنيدي .. كيف لي أن أعرف ؟ ! .. » سألته نورما « أي صوت ؟ .. » . قال منفعلاً « يا للمسيح .. ماذا تظنين .. الصوت الذي يأتيني من العقل الآخر الذي بداخل رأسي ! .. » .

صوت .. أم أصوات

ماذا يقول بيتر في شرح الطريقة التي تعمل بها « موهبته » ؟ .. قال إنه يرى في بعض الأحيان صوراً يستمد منها معلوماته التي ينطق بها .. وفي أحيان أخرى يسمع صوتاً ، يمده بما يقوله للآخرين . وعندما تسأله نورما « صوتاً أم أصواتاً ؟ »، يؤكد بيتر أنه يسمع صوتاً وليس أصواتاً ..

ويرجع بذاكرته الى وقت سقوطه في هولندا ، فيقول « بعد حادث السقوط عندما كنت في حالة وسط بين الوعي والغيبوبة أثناء وجودي بالمستشفى كنت أسمع أصواتاً .. وظللت أسمع هذه الأصوات لبعض الوقت فيما تلا ذلك . كانت الأصوات في بعض الأحيان حقيقية .. لكنها كانت مدغمة مختلطة لا يسهل التميز بينها .. كانت أصوات أفراد عائلتي الذين يحيطون بسريري وبعض أفراد الهيئة الطبية بالمستشفى من أطباء وممرضين وممرضات ، من الذين كانوا يترددون على حجرتي .. وفي أحيان أخرى كانت الأصوات تخيلية غير حقيقية ، كما حدث عندما قمت بزيارتي للمدافن في أعقاب خروجي من المستشفى .. عندما تصاعدت أصوات الموتى تلاحقني أثناء سيري بين القبور .. » .

ويقول بيتر « إن (الصوت) الذي استمد منه معلوماتي يعتبر شيئاً مختلفاً .. » . سألته نورما برونتج أن يصف لها ذلك الصوت ، فقال « إنه صوت عميق ، كأنه صوت رجل عجوز مثل هذا .. » ، وراح بيتر يقلد الصوت الذي يسمعه . فسألته نورما « أهو صوت أحد ممن تعرفهم ؟ . أمن الممكن أن تتعرف على صاحب ذلك الصوت ؟ .. » فقال بحسم « لا » . سألته « هل تتذكر المرة الأولى التي استمعت فيها لذلك

الصوت ؟ » . أجاب « بالتأكيد ، عندما كنت بالمستشفى مع دكتور بيترز الذي كان يتصور أنني مجنون .. ذلك الطبيب الذي أخبرته عن البيجاما التي أهدتها إليه عشيقته بعد أن طرزت عليها الحرفين .. كانت هذه المعلومات مستمدة من الصوت الذي سمعته لأول مرة » .

سألته نورما « وهل كان الصوت هو الذي زودك بالمعلومات عن حقيبة الممرضة زيلدا التي أضاعتها ؟ » . أجاب « لا .. لم يكن اعتمادي في هذا على الصوت .. بل عرفته من الصورة التي ظهرت لعقلي .. كنت أرى صورة ذلك .. » . سألته « هل الصور التي تراها بيضاء وسوداء .. أم هي ملونة ؟ » . قال « لا توجد ألوان .. فقط أبيض وأسود .. الصورة الوحيدة الملونة التي رأيتها ، كانت تمر برأسي عندما كنت غائباً عن الوعي » ..

الحوار مستحيل مع الصوت .. !

واصلت نورما استجوابها لبيتر هوركوس حول مصدر معلوماته ، فسألته « هل يحدث أحياناً أن تسمع الصوت ، وترى صوراً في نفس الوقت ؟ » . أجاب « لا .. بتاتاً .. في بعض الأحيان أرى الصورة كما لو أنني أراها على شاشة التليفزيون .. وفي الأحيان الأخرى لا أسمع سوى الصوت فقط » . سألته « هل هو دائماً نفس الصوت ؟ طوال الوقت ؟ » . أجاب « دائماً نفس الصوت .. ذلك الصوت الذي يأتيني من عقلي الآخر .. لقد قلت لك يا عزيزتي من قبل إنني أعيش بعقلين ! » .

تساءلت نورما إذا ما كان باستطاعة بيتر أن يجري حواراً مع الصوت ،

أجاب « لا .. لم يحدث أبداً .. هذا مستحيل ، وسأخبرك لماذا . عندما أبدأ في سماع الصوت لم يحدث أبداً أن قاطعته . فلنفترض أن الصوت يتحدث إلي ، وأنني أقاطعه لأسأل سؤالاً .. لن أتلقى رداً والذي يحدث أن يختفي الصوت ، ويتوقف كل شيء .. سيختفي الصوت .. هكذا بكل بساطة .. لهذا عندما يتكلم إلي ، أستمع فقط ، وعندما ينتهي كلامه ، يختفي ... قد يخبرني الصوت عن بعض المعلومات المتعلقة بطائرة تحطمت ، وبالناس الذين ماتوا فيها محترقين .. في هذه الحالة لا أرى صورة الطائرة .. لا أرى صوراً إطلاقاً .. فالصوت هو الذي يمدني بالمعلومات .. لا .. لا أستطيع أن أتبادل حواراً مع الصوت .. لا أستطيع أن أقول له : أذكر لي شيئاً حول هذا أو ذاك .. إنه يصل ويتكلم ثم يختفي .. ربما في منتصف الليل .. يأتي في أي وقت من أوقات اليوم » . وتوقف بيتر للحظة مفكراً ثم استطرد قائلاً « لكن الصوت يحميني .. وهو لا يكذب أبداً .. » .

وعندما عادت نورما إلى إثارة موضوع كنيدي ، وعدم تعرفه على اسم هذه الأسرة التي تحدث عنها ، بعد كل المعلومات التي ذكرها ، قال بيتر إنه يعرف الأسماء فقط عندما تأتيه المعلومات عن طريق الصوت .. أما إذا حصل على معلوماته من الصور العقلية ، كما حدث عندما أمسك بالظرف الذي يحتوي على صورة تيد كنيدي ، فإنه لا يعرف الأسماء .

ورغم حرص بيتر هوركوس على الابتعاد عن عالم الجريمة واستمتاعه بجو هوليود والمسارح والإذاعة والتليفزيون فقد شاءت الظروف أن تزج به زجاً في جريمتين من أشهر الجرائم ..

العُلَمَاء يَهْرُبُونَ مِن هُوركوس !

رغم المحاولات الدائبة من جانب بيتر هوركوس للهروب من جو الجريمة والقتل والسفاحين ، إلى أجواء هوليود والمسرح والتليفزيون فقد كان صيته الذائع في حل ألغاز القضايا ، يزج به زجاً في أعنف القضايا وأشنع الجرائم . فقاده قدره إلى أن يعمل في جريمتين من أشهر الجرائم ، أولاهما كانت تسمى «جريمة آن أربور» . وكان هذا الأسم يشير إلى سلسلة من الجرائم حدثت في حرم جامعة ميتشيجان . وقد وصل عدد ضحايا هذه الجريمة خلال سنتين إلى ثماني ضحايا ، من بينهم ستة من طلبة الجامعة . ووقعت آخر الجرائم يوم ١٥ إبريل ١٩٦٩ ، وكان ضحيتها الفتاة دوان باسوم البالغة من العمر ثلاثة عشر عاماً .

كان استدعاء بيتر للمشاركة في كشف هذه الجرائم في أواخر شهر يوليو . فقد اتفق مجموعة من سكان المنطقة على أن يجمعوا من أنفسهم ما يصل إلى ألف دولار لتغطية نفقات استدعاء بيتر هوركوس . لقي بيتر هذه المرة تعاوناً كاملاً من الشرطة . والحقيقة أن علاقة بيتر بهذه القضية بدأت قبل هذا ، وبالتحديد في ١٤ يونية ، عندما زاره بمسكنه في هوليود الصحفي أرنولد روزنفلد من دترويت ، وجلب له مجموعة من صور الضحايا وخريطة للمنطقة ، وبعض أشياء الضحايا .

رغم الضجة الواسعة التي أثارتها حوادث القتل هذه في ذلك الحين ، فإن بيتر الذي لم يكن من عادته قراءة الصحف ، لم يعرف شيئاً عن تفاصيل هذه الجرائم . ومع هذا ، واستناداً إلى صور الضحايا ومتعلقاتهم قال بيتر عن القاتل « عمره حوالى ٢٥ سنة .. ذكي بشكل ملفت مع حصيلة محدودة من التعليم .. وجهه يعطي إحساساً بالسن الصغيرة .. وجه جميل كوجه طفل .. يدرس مساء في جامعة تنظم دراسات مسائية .. أرى مدرسة صغيرة .. وزنه ليس كبيراً .. حوالى ٥٣ كيلو .. يسوق دراجة بخارية .. أرى مزرعة خلفها بيت .. على بعد منه جدول مائي صغير أو خور .. وبئر جافة ! » .

لقد وصف بيتر بقوله هذا ، المنزل الريفي الذي يعتقد رجال الشرطة أنه كان مسرح الجريمة الأخيرة ، وقال بيتر عن ذلك المنزل إنه مركز انطلاق القاتل . وعندما قدموا إليه صورة لذلك المنزل قال على الفور : « إنه يرتكب جرائمه هنا .. في هذا المنزل مقعد بأرجل مكسرة ، مقعد وزجاجة بيرة وعلبة طعام محفوظ .. وأرى الكثير من الجرائد .. إنه لم يقتل الفتاة في هذا المنزل .. هذا البيت مجرد حجرة عمليات .. يراقب منه الجيرة منذ زمن طويل .. إن نشاطه في المنطقة لم يتوقف .. إنه الآن ليس بالمنزل ، لكنه يقود دراجته البخارية ويطوف بها حول المنطقة .. ! » .

العملان الأحمقان ..

أشار بيتر أكثر من مرة إلى الدراجة البخارية التي يركبها القاتل . فساعد هذا رجال الشرطة في التعرف على جون نورمان كوليتز . ذلك

لأن كولينز كان قد دعا ضحيته السابعة كارين سو بيمان إلى الركوب خلفه على دراجته البخارية ، ليصل بها إلى متجر باروكات الشعر الذي كانت تقصده .

بعد أن دفعت كارين ثمن الباروكة التي اختارتها ، قالت للبائعة متهكمة وهي تقلب الباروكة بين يديها « لقد أقدمت خلال حياتي على عملين أحمقين فقط .. شراء هذه الباروكة وقبول ركوب الدراجة البخارية مع شخص غريب .. ! » .

وقد شوهدت كارين آخر مرة وهي تركب خلف رجل يقود دراجة بخارية .. وكان ذلك هو جون نورمان كولينز .

عثرت الشرطة على جثة كارين سو بعد ثلاثة أيام ، عارية ، وقد ظهرت عليها آثار الاعتداء الجنسي . عثروا عليها في طريق مهجور بضاحية من ضواحي آن أربور .

لقد وقع مقتل كارين بعد وصول بيتر إلى آن أربور ، وكان يعمل لكشف غوامض الجرائم الست السابقة .. لكن الثابت أن بيتر هوركوس عند وصوله إلى المدينة قال لمن كانوا في استقباله إن جرائم ذلك القاتل لم تنته بعد . وقد حدث بعد استقراره في الفندق الذي سيقيم فيه ، أن تلقى مكالمة تليفونية من مجهول ، يقول فيها « ابتعد عن هذه المدينة وإلا فإن حوادث القتل ستستمر ! .. » وعندما تحرت الشرطة عن مصدر المكالمة ، تبين أنها جرت من تليفون عمومي بالقرب من محطة أتوبيس آن أربور .

وقبل أن تكتشف الشرطة جثة كارين قال بيتر إن القاتل سيضع جثة

ضحيته في مكان قريب من الفندق الذي يقيم فيه . وقد وصف بيتر وضع الجثة وعدة حقائق عن صفاتها البدنية . وقد ثبت صحة ما قاله هوركوس رغم أنه لم يزر المكان الذي عثروا فيه على الجثة ، على بعد أقل من ميل من الفندق الذي ينزل فيه .

سيصعق القاتل لما أقول ..

عند وصول بيتر إلى المدينة ، قال في لقاء تليفزيوني إن القاتل مسؤول على الأقل عن ثلاث جرائم من الجرائم الست التي تم اكتشافها . وقال إنه بدأ يصل إلى صورة القاتل ، وطمأن جمهور المدينة قائلاً إنه سيتم القبض على القاتل قريباً ..

وتقريباً .. في نفس الساعة التي وصل فيها إلى الشرطة بلاغ اختفاء كارين سو ، في وقت متأخر من مساء ٢٣ يوليو ، كان بيتر هوركوس يظهر على شاشة التليفزيون قائلاً « أرجو أن يكون القاتل من بين مـــن يشاهدونني الآن .. فهو سيصعق لما سأقوله عنه ! .. » ، ثم راح يعطي أوصاف القاتل قائلاً « إرتفاعه حوالى ١٨٠ سم ، له شعر بني غامق مجعد .. في بعض الأحيان يرتدي ملابس النساء ، وفي أحيان أخرى يرتدي ملابس الرجال .. رغم أنه دخل في مباراة ذكية مع الشرطة ، إلا أنهم سيضعون أيديهم عليه قريباً .. لست أنا الذي سيمسك به ولكنها الشرطة .. ! » .

كان بيتر هو الذي قاد الشرطة إلى محل باروكات الشعر ، وإلى البائعة التي اشترت منها كارين وتحدثت معها ، ورأتها تركب خلف الرجل على دراجته البخارية .

بعد انتهاء اللقاء التليفزيوني ، زارت بيتر في حجرته بالفندق فتاة ، تبرعت بتقديم معلومات عن صديق لها تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرها عن القاتل على شاشة التليفزيون ، لكنها لم تفصح عن اسمه . حضر ذلك اللقاء ثلاثة من رجال الشرطة ، لذا فيبدو أن الفتاة عادت وتراجعت بعد ذلك عن كشف اسم صديقها ، قائلة « على العموم ، لا أظنه القاتل .. فهو لا يهتم كثيراً بالفتيات » رغم هذا فما لبثت الفتاة أن قالت فجأة وبدون مقدمات « اسمه جون كولينز ! » .

بعد ثلاثة أيام من زيارة الفتاة لهوركوس ، تم القبض على كولينز ، ووجهت إليه تهمة قتل كارين .. لكن لم توجه إليه أي تهمة من التهم الست الأخرى . فقد كانت للشرطة نظرية مفادها أن حوادث القتل لم يقم بها كلها مجرم واحد ، بل اشترك فيها مجموعة من الناس ، تعتنق أفكاراً واحدة .

مذبحة شارون تيت ..

كان بيتر قد فرغ بالكاد من العمل في هذه الجريمة ، واتجه إلى بيته في ستوديو سيتي بكاليفورنيا ، ليأخذ قسطاً من الراحة ، وما أن دخل بيته حتى رن جرس التليفون . وبمجرد أن رفع سماعة التليفون ، وجد نفسه مقحماً في التحديات الخاصة بأكثر الجرائم إثارة في تاريخ عمله مع الشرطة .. جرائم تيت – سيبرنج ، والتي راحت ضحيتها النجمة السينمائية الشهيرة شارون تيت .

في الثامنة والنصف من صباح السبت ١٩ أغسطس ، أبلغت الخادمة

الزنجية التي كانت تعمل في خدمة الممثلة شارون تيت وزوجها المخرج رومان بولانسكي بمنزلهما الواقع بين تلال بندكيت كانيون ، أبلغت عما جعلها تهرب من البيت جارية إلى منزل الجيران وهي تصرخ من فرط الصدمة التي أصيبت بها « جثث .. ودماء .. في كل مكان ! » .

وسط بركة من الدماء ، أمام الأريكة الخضراء ، كان مطروحاً جسد الممثلة شارون تيت ، وقد مزق جسدها تمزيقاً شديداً وجرى التمثيل به . كانت شارون تيت هي نجمة فيلم وادي العرائس . أما بولانسكي زوجها فقد ذاع صيته في أمريكا باعتباره مخرج فيلم « طفل روز ماري » الذي يصور قصة زوجة شابة تصبح حاملاً من خلال طقوس سحرية .

كانت شارون تيت عند قتلها حاملاً في شهرها الثامن ، ولم تكن ترتدي سوى مشد الصدر وسروال قصير . وجدوها وقد التف حول رقبتها حبل من النايلون لوثته الدماء ، وكان الحبل يمتد ليلف حول عرق خشبي في السقف ثم يهبط ليعقد حول عنق ضحية أخرى هو جاي سيبرنج ، حلاق الرجال الشهير في هوليود ، البالغ من العمر ٣٥ سنة ، والذي كان يوماً ما خطيباً لشارون تيت . وقد وضع القتلة غطاء على رأس سيبرنج .

وفي الساحة التي أمام البيت وجدت جثة لاجئ بولندي صديق لبولانسكي ، وحبيبته التي مزقت جثتها شر تمزيق . وكانت الضحية الخامسة في هذه المجزرة ، الطالب ستيفن بيرانت ، الذي وجد قتيلاً داخل سيارته عند مدخل الطريق المؤدي للبيت .

كانت المذبحة أكثر شناعة من خيال أكثر مخرجي أفلام الجريمة والرعب في هوليود قسوة وخيالاً . لهذا فقد صدمت الرأي العام العالمي .

وأثارت السخط في أوساط واسعة ، مما أدى إلى أوسع حملة تحريات عرفتها هوليود .

بيتر يكشف القتلة

جرى استدعاء بيتر هوركوس للمساهمة بجهده في هذه القضية على يد المحامي بيتر كنيشت الذي كان المحامي الخاص لجاي سيبرنج ، ومن أصدق أصدقائه . لقد استطاع بيتر أن يقدم للشرطة من المعلومات ما سهل عليها القبض على تشارلز مانسون ، وأربعة من أتباع العقيدة التي يبشر بها .

تقول نورما برونزنج في كتابها عن بيتر هوركوس ، والتي عايشت جهده في هذه القضية منذ البداية حتى النهاية خطوة بخطوة : « إن تفاصيل ما توصل إليه بيتر هوركوس من معلومات خلال هذه القضية ، معتمداً في ذلك على موهبته الخاصة ، لا يمكن الكشف عنه الآن ، نظراً لأن القضية مطروحة حالياً على القضاء (عام ١٩٧٠) ، لكن ما يمكن قوله الآن هو أن ملاحظاتي الشخصية ، ومذكراتي ، وتسجيلاتي في هذه القضية ، تؤكد مرة أخرى ، البصيرة النافذة التي لا يمكن تصديق أبعادها ، والتي يتمتع بها ذلك الرجل .. » .

ما هي هذه القدرات ؟

بعد كل هذه الروايات والوقائع والتفاصيل قد نتساءل : ما هي هذه القدرة الخاصة التي يتمتع بها بيتر هوركوس ؟ ..

الثابت أنه ليس أفاقاً مغامراً ، أو مزوراً ماهراً ، فقد مر باختبارات قاسية على يد دكتور بوهاريش في معمله بجامعة مين . فما هذا الذي يتمتع به بيتر هوركوس ؟ هل هو ما يطلق عليه الحاسة السادسة ؟ ولكن ، كيف تعمل هذه الحاسة داخله ؟ .. ولماذا يتمتع بها دون غيره ؟ وكيف لم تظهر إلا بعد سقوطه من الطابق الرابع ؟ هل هو كما قال والده ، مات بعد الحادث واحتل جسده عقل آخر يختلف عن عقله الأصلي ؟ أم هل يعيش بيتر بشخصيتن : شخصيته العادية ، وتلك الشخصية الأخرى صاحبة الصوت الرخيم التي تملي عليه المعلومات والمعارف عن القضايا التي يتصدى لها ؟ .. هل الأمر صورة واقعية من الرواية الذائعة الصيت « دكتور جيكل ومستر هايد » ؟ .. أم أنه يعاني مما يعرف بانفصام المخ الذي نسمع عنه حديثاً من خلال نتائج البحوث البيولوجية التي تجرى حالياً على القردة في المعامل ؟ .. أو قد يرجع الأمر إلى ما يسميه العالم الجراح الباحث دكتور وايلدر بنفليد « الإدراك المزدوج » ، والذي أثبت حقائقه من خلال زرع أقطاب كهربائية في المخ البشري وتنشيط بعض المراكز في المخ بتيار كهربي ضعيف ، لاستعادته الذكريات المفقودة ؟

تقول نورما لي برونج «كيف يمكن أن نفسر قدرات بيتر هوركوس الغريبة ؟ .. لن أقدر على ذلك فأنا كاتبة ومحققة ولست عالمة .. وللأسف يسود أغلب العلماء شعور بالشك والريبة إزاء كل الظواهر العقلية الخارقة ، مما يعوقهم عن القيام بدراسات علمية وبحوث متخصصة حول النشاط العصبي الفسيولوجي ، والانماط الخاصة بموجات المخ ، لدى هؤلاء الذين يتمتعون بقدرات عقلية خارقة .. » .

والعلم المعروف باسم « باراسيكولوجي » والذي تدخل في إطاره كل القدرات الخارقة للعقل البشري ، مثل التخاطر « التيليباثي » والشفافية أو القدرة على الرؤية عبر الزمان والمكان ، وقدرة وتأثير العقل على المادة « سيكو كينيسيس » ، والتعرف السابق « بريكو جنيشن » والتعرف اللاحق « ريتروكو جنيشن » .. هذا العلم اكتسبت أغلب فروعه اعترافاً علمياً على يد العديد من العلماء والفلاسفة ، بحيث لم تعد القضية الآن إثبات صدق هذه الظواهر ، بل البحث فيما يجعلها تظهر وتقوى عند الشخص العادي . مع كل هذا ، فما زال الكثير جداً من العلماء الطبيعيين ، حتى يومنا هذا ، يرفضون الاعتراف بالبحوث المعملية التي تجري حول الظواهر الفائقة للعقل البشري . ولعل بعض أسباب هذا الموقف ، يرجع إلى أن هذه الظواهر قد اختلطت على مدى التاريخ بجهود الكثير من الأفاقين والنصابين والمخادعين ، مما جعل التميز بين الظاهرة الحقيقية والمناورة ، الكاذبة أمراً شاقاً ..

لهذا ، وخوفاً من الخوض في هذه المناطق الموحلة ، يسارع معظم العلماء إلى رفض الأمر كله ، بل وإدانته ، رغم أن هذه الإدانة تكون غير موضوعية ، وتناقض التفكير العلمي السليم . لقد قرأت أخيراً كتاباً للدكتور عبد المحسن صالح اتخذ له اسم « الإنسان الحائر بين العلم والخرافة » ، حاول فيه أن يهاجم كل ظواهر العقل البشري التي تدخل تحت إطار ما يسمى الباراسيكلوجي . وقد دهشت عندما وجدته ، وهو العالم الدارس ، قد تخلى في إدانته عن أبسط أسس التفكير العلمي . فوقع في خطأ التعميم المخل ، بأن يستند إلى واقعة معينة ليدين بها فكرة أو

مبدأ كامل . فإذا أورد قصة عن واحد ادعى لنفسه القدرات العقلية الخارقة ثم ثبت أنه نصّاب ، خرج من هذا بزيف الظاهرة بشكل عام .. كما وقع في أخطاء التحيز ، بأن يورد الواقعة التي تفيد في ترسيخ وجهة نظره ، ويتجاهل الوقائع الأخرى التي قد تشكك فيها .

ولعل هذا هو السر في بطء التقدم الذي تحرزه الدراسات العملية في مجال الباراسيكلوجي .. وصعوبة الوصول إلى تفسير علمي لظواهر العقل الخارقة ، كالتي يتمتع بها بيتر هوركوس فالكثير مما وصل إليه بيتر هوركوس ، خضع لرقابة موضوعية واعية ، واتخذت فيه كافة الضمانات التي تضمن ثبات الظاهرة ، شأن مختلف الظواهر العلمية الثابتة الأخرى .

علماء المخ يرفضون

في مكان من كتابها تتساءل نورما بروننج قائلة « لماذا يكون على بيتر هوركوس أن يثبت ويعلل موهبته أمام الساخرين المنكرين ؟ .. لماذا لا يقع عبء الإثبات عليهم هم ؟ . على الذين يتشككون أن يثبتوا كذب النتائج التي يصل إليها .. » ، إلى أن تقول « فالمخ في حقيقته من أكبر ألغاز البشرية . لم تتحقق الكثير من المعارف عنه حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، ولم تصل إلى الشطر الأكبر من معارفنا الحالية إلا خلال السنوات العشر أو العشرين الماضية . ولعل قلة معارفنا عن المخ البشري ، هي السبب فيما نجد أنفسنا فيه من حيرة عندما نسأل أنفسنا لماذا وكيف

تحدث الظواهر العقلية الخارقة كالتي نراها عند بيتر هوركوس . لكن الذي لا أفهمه هو رفض علماء المخ هذه الأيام ، فرصة دراسة واختبار مخ مثل مخ بيتر هوركوس في معامل بحوث المخ التي تحت أيديهم » ..

لقد حاولت نورما برونتج أن تدخل هوركوس إلى مركز دراسة المخ في أوكلا ، فرفض طلبها بدعوى أن الأشخاص الذي يجري عليهم المعهد بحوثه ، إما أن يكونوا من مرضى الصرع أو انفصام الشخصية .. وأنهم لا يرون إمكان التعرض لدراسة واحد من ذوي القدرات العقلية الخارقة . ونصحوها بأن تلجأ إلى أحد الأطباء النفسيين المهتمين بالموضوع .

لم يكن هذا هو المطلوب فلقد أجريت العديد من التجارب على بيتر لقياس قدرته على التخاطر والشفافية وغير ذلك من ظواهر الإدراك الحسي المتفوق في معمل دكتور بوهاريش ، وثبت صدق موهبته . لكن كان المطلوب هو : كيف ولماذا وبأي مخ فسيولوجي تعمل هذه الظواهر ؟

هل مات هوركوس ؟

تحكي ستيفاني زوجة بيتر الحالية وسكرتيرته عن تجربة مر بها ، عندما أغمي عليه ذات مرة أثناء تركيزه الشديد للوصول إلى بعض المعلومات ، وحملوه سريعاً إلى أحد المستشفيات . تقول ستيفاني بأسلوبها البسيط الذي قد لا يكون علمياً « كان يشكو من ضيق في التنفس .. فهو أثناء انهماكه في التركيز ، كثيراً ما ينسى أن يتنفس .. فيفقد وعيه .. » .

في تلك المرة ، ظنت ستيفاني أن بيتر قد مات ، فلجأت إلى أقرب مركز للإطفاء ، فحضر رجال الإطفاء ومعهم أجهزة الأوكسيجين ، وعندما لم ينجحوا في انعاشه ، أسرعوا بنقله إلى قسم الحالات العاجلة بالمستشفى . الأطباء الذين تصدوا لعلاجه تصوروا للوهلة الأولى أنه مصاب بسكتة دماغية .. كانت ستيفاني تقف إلى جانبه طوال الوقت ، لا تلتفت إلى حديث الأطباء وتردد كالببغاء « إنها أزمة تنفس .. إنه من أصحاب القدرات العقلية الخارقة ، وهذا يحدث له كثيراً » فحدق فيها الأطباء وهم ينظرون إليها باندهاش واستنكار لقولها ..

بعد أربع ساعات أفاق بيتر من غيبوبته ، وبمجرد افاقته لفت نظره الخاتم الغريب الذي تضعه إحدى الممرضات في إصبعها . فقال لها بإلحاح « دعيني أمسك بخاتمك .. » ، قالت الممرضة بفضول « لماذا ؟ . » ، فقال لها فيما يشبه الأمر «أعطه لي ! » في صمت خلعت الممرضة خاتمها وسلمته لبيتر . بعدها ، بدأ بيتر بقوله « هذا الخاتم يخص شخصاً ميتاً » .. ثم راح يصف أشخاصاً وأحداثاً بتفصيلات دقيقة كلها تتصل بحياة الممرضة . في أول الأمر بقيت الممرضة في مكانها متخشبة . ثم فجأة انطلقت هاربة من الحجرة وهي تصرخ ! .

في أعقاب هذا ، تدفقت إلى الحجرة فرقة من الأطباء والممرضات ، أحاطت ببيتر ، تطرح عليه عشرات الأسئلة . وبين التعليقات المختلفة أبدى أحد الأطباء ملحوظة تفيد تشككه في حقيقة القدرة التي يتمتع بها هوركوس ، فانتفض جالساً في سريره وهو يصيح فيه « إلى الجحيم . هل يتوجب علي إثبات مقدرتي أمامك وأنا على فراش الموت ؟ ! ! ..

لكن هذا لم يمنعه من أن يتحدث الى جميع الذين أحاطوا بسريره ، كاشفاً العديد من المعلومات التي تتصل بكل واحد منهم ، مما جعلهم يقفون في أماكنهم صامتين وقد بدت في عيونهم نظرات الاندهاش وعدم التصديق . يحكي بيتر عن هذه الواقعة فيقول « لقد اجروا علي بعد ذلك عدة تجارب لا أعلم شيئاً عن طبيعتها .. وضعوا أبراً صغيرة في رأسي ، وصلوها بكثير من الاسلاك الى جهاز كبير .. وكان يخرج من هذا الجهاز شريط ورقي صغير عليه خطوط مضحكة .. أظن انها كانت موجات مخي .. لقد ظهر الاندهاش الشديد على الاطباء وهم يفحصون هذه الخطوط ، وقالوا انها في منتهى الغرابة .. لقد استمر هذا الاختبار لمدة ساعتين .. ما يهمني في الامر انهم لم يرسلوا لي فاتورة بالأتعاب عن تجربتهم هذه ! » .

من الواضح أن الاطباء استخدموا معه جهاز « اي . اي . جي » وهو الاسم الشائع اختصاراً لكلمة الكترو انسيفالو جرام . حاولت الكاتبة نورما برونتج أن تجمع المعلومات عن هذه الواقعة ، وأن تعرف رأى الأطباء الذين أجروا الاختبارات ، فلم تلق غير الانكار والصمت ورفض التحدث من الاطباء والممرضات .. لكنها ، بعد جهد كبير ، نجحت في أن تحصل على صورة من التقرير الرسمي المحفوظ في أوراق المستشفى عن إقامة بيتر هوركوس .

التقرير بالطبع حافل بالاصطلاحات الطبية والفنية ، لكن ما يهمنا في الأمر هو ما جاء في ذلك التقرير تحت عنوان « التعليق » ، جاء في التقرير

الطبي « عند تشغيل المنبه الضوئي (فوتيك) بمعدل ٢٠ سي بي اس ، أصبح المريض متمتعاً بقدرات عقلية خارقة ، وأعطى العاملة الفنية المسؤولة عن الجهاز عدداً من المعلومات الصحيحة التي تتصل بحياتها الماضية بالرغم من أنه لم يحدث أن التقى بها من قبل . وكان جهاز اي . اي . جي . يعمل بكفاءة كاملة خلال ذلك الوقت » .

تقول نورما لي برونئج تعليقاً على هذا « في عصر طفل أنابيب الاختبار .. وزرع القلب .. والهبوط على القمر ، يبدو غير مفهوم أن يبقى العلم حتى الآن متخذاً موقف التجاهل إزاء الظواهر العقلية الخارقة ، الثابت حدوثها في العقل البشري .. قد يكون بيتر هوركوس من الحالات النادرة بين البشر ، لكن (موهبته) الخاصة أصيلة وثابتة .. وهي تستحق أن نبحث عن تفسير علمي لها .. » .. الى أن تقول « الثابت حتى الآن أن العقل البشري يصبح قادراً في بعض الاحيان على تخطي حواجز الزمان والمكان .. هذه حقيقة ثابتة لا تقبل المناقشة . لكن المطروح الآن هو لماذا ؟ .. وكيف ؟ .. لقد هزم البشر قمة افرست لا لسبب إلا لأنها موجودة .. وبنفس الدواعي انتصر البشر على القمر .. وإذا كان العلماء قد قالوا إن اكتشاف القمر والهبوط عليه سيزيد فهم الإنسان لنفسه .. فما هو موقفهم من ضرورة اكتشاف الإنسان لعقله هو ؟ ! .. » .

المَــرَاجِع

* NORMA LEE BROWNING
THE PSYCHIC WORD OF PETER HURKOS.
SIGNET BOOKS

* ANDRIJA PUHARICH
BEYOND TELEPATHY
PICADOR

* LYALL WATSON
SUPER NATURE
BANTAM BOOKS

* GORDON TURNER
AN OUTLINE OF SPIRITUAL HEALING
WARNER

المحتويات

رقم الإيداع : ٨٧/٥٧٨٤
الترقيم الدولي : ٠ ـ ١٢٩ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

بيروت : مار الياس ـ شارع سيدة عيد ثانيا ـ بناية مدبنا ص.ب : ٨٠٦٤ ـ برقيا : داشروق
تلكس : ٢٠١٧٥ SHOROK LE هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ ٣٠٧٩٨٤ ـ ٨٦٧٥٥٥ ـ فاكس ٨١٧٧٦٥
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ ت : ٣٩٢٣٣٣٠ / ٣٩٣٤٥٧٨ فاكس ٣٩٣٤٨١٤ ـ تلكس
٩٣٠٩١ SHROK UN ـ ٨ شارع سيبويه المصري ـ مدينة نصر ت : ٢٦٢٢٢٩٨ . ٢٦٢٧٥٤٨ ـ فاكس ٦١٧٥٦٧

رجل يعرف كل الأسرار

- سقط من الطابق الرابع ، فتفجرت في عقله قدرات غريبة .
- كيف أنقذته قدراته الخارقة من البقاء في مستشفى الأمراض العقلية .
- شرطة اسكتلنديارد تلجأ إليه لكشف لغز سرقة جوهرة عرش التتويج .
- أمسك بالطفلة المشلولة وقال : ستسير في عيد الميلاد ... وتحققت النبوءة .
- على الخريطة المقلوبة استطاع تحديد موقع سقوط الطائرة المفقودة .
- هوركوس يكشف أسرار عدو النساء ، سفاح بوستون الشهير .
- أثناء نومه يتحدث هوركوس بصوته مرة وبصوت السفاح مرة أخرى .
- كشف لغز ملك الحرير ، الذي اختفى من كوخ ضوء القمر .